

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

مبدأ الكونية في الأخلاق عند كانط

مذكرة مقدمة لمقتضيات نيل شهادة الماستر في الفلسفة

تخصص: فلسفة عامة

الأستاذ المشرف:

د/ عيسى معيلبي

إعداد الطالبة:

فهيمة حمادي

لجنة المناقشة:

د. علي أرفيس	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	الصفة رئيسا
د. عيسى معيلبي	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مشرفا ومقررا
د. خشعي عبد النور	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2023-2024



الإهداء :

إلى أولئك الذين يتطلعون إلى عالم تسوده العدالة والمساواة والحرية
إلى أولئك الذين يحملون مشعل الأخلاق الكونية .

إلى من كان لي نورا في دروب الفكر، ومرشدا في متاهات العقل

من علمني أن الفلسفة ليست تأملات نظرية

بل هي رحلة في أعماق الوجود و الذات الإنسانية

الأستاذ الدكتور: مقورة جلول



شكر وتقدير

الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه ، الحمد لله أن يسر لنا سبل العلم ووفقنا
لإتمام هذا البحث وهذا من تمام فضله ومنه وكرمه علينا، فالحمد لله أولاً وآخراً
يطيب لي أن أقدم بخالص شكري وعميق امتناني للأستاذ المشرف الدكتور
عيسى معيلبي الذي تكرم بالقبول والإشراف على هذا البحث ورافقني بتوجيهاته
الحكيمة ونصائحه القيمة طيلة مدة إنجازي له ، وأحاط هذا العمل بملاحظاته
البناءة فكانت الأساس الرصين في اكتماله وظهوره في الصورة التي هو عليها
الآن كما لا يفوتني أن أقدم بخالص الشكر و الامتنان للأستاذ الدكتور الدراجي
زروخي الذي كان لي خير معين في إنجاز هذه المذكرة راجية من الله عز وجل
أن يسدد خطاه ويحقق مناه والشكر موصول للأستاذة الدكتورة سهام حمادي على
ما قدمته لي من دعم ومساندة فجزاها الله عنا خير الجزاء .
كما أوجه شكري لكل من قدم لي يد المساعدة من قريب او بعيد و لو بالدعاء .

مقدمة

مقدمة:

لقد نالت دراسة القيم الأخلاقية منزلة هامة في تاريخ الفلسفة؛ وذلك لاتصالها الوثيق بالحياة العملية للإنسان، فأى تصرف يقوم به الإنسان هو محكوم حتما بقواعد أخلاقية، فهي التي تحدد وتعطي قيمة ومرجعا لأفعاله.

وقد حاول الفلاسفة منذ القدم الخوض في موضوع الأخلاق والذهاب به شتى المذاهب، فمنهم من رد القيمة الأخلاقية إلى اللذة والسعادة ومنهم من ردها إلى المنفعة، وكانت فلسفة كانط ثورة فكرية ضد هذه الاتجاهات الأخلاقية، وقد شكل أمر البحث في مبادئ الحياة الأخلاقية المحور الرئيسي في فلسفة كانط المعروفة بالأخلاق الكانطية إذ تمثل تحولا كبيرا في تاريخ الفلسفة، وموقفا معارضا للمذاهب التقليدية التي ركزت على النتائج أكثر من تركيزها على المبادئ والأسس.

و قد حاول كانط التقديم لأساس أخلاقي جديد ورؤية فلسفية مختلفة ومغايرة تماما لما كان سائدا في عصره حتى عرفت فلسفته بالفلسفة النقدية، فتاريخ الفلسفة إذن يشهد لكانط اهتمامه بالجانب الأخلاقي وتعمقه فيه، والوقوف منه موقفا نقديا حتى بلغت فلسفته من السيادة والريادة ما لم تبلغه فلسفة أخرى، ومن الاستحواذ على العقول و الأفكار ما لم يحظ به أي مذهب أخلاقي سبقه، كيف لا وهو الذي أيقظ العالم من سباته، وألهم الناس سبل التفكير السليم ووجه الأنظار إلى مواضيع جديدة تتناول حرية الإنسان وكرامته، فغدت فلسفته أساسا لكل فلسفة لاحقة.

كان كانط يعارض الأخلاق النفعية التي تقيم الأفعال على نتائجها، وبدلا من ذلك رأى أن الأخلاق يجب ان تبنى على أسس ومبادئ عقلية صارمة ثابتة أساسها الإرادة الحرة التي جعلها أساسا للقيمة الأخلاقية، وجعل هذه الأخيرة تتصل اتصالا وثيقا بالواجب الذي يعد قاعدة رئيسية في فلسفته وفقا لفكرة الواجب عنده.

يجب على الأفراد التصرف وفق مبادئ يمكن تعميمها كقانون عالمي كوني، فالواجب عنده غاية سامية تتبناها وتلتزم بها كل العقول، والأخلاق قاعدة عامة تلتزم بها كل الإرادات فالمشروع الأخلاقي الكانطي هو مشروع شامل هادف عام وكوني.

لذلك جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ "مبدأ الأخلاق الكونية عند كانط"

إذ تعد إسهامات كانط الأخلاقية نموذجاً صارماً للتفكير الأخلاقي وتعتبر من أهم النظريات في الفلسفة الغربية الحديثة، فكان لها امتدادها وحضورها في فكر الكثير من الفلاسفة المحدثين والمعاصرين الذين استلهموا الأفكار الكانطية، واتخذوا منها منطلقاً ومرجعاً لكثير من النظريات التي حاولت إعادة بناء هذه الأفكار في سياقات تواصلية معاصرة.

إشكالية البحث :

واستناداً لهذا الطرح صيغت إشكالية الدراسة على النحو التالي:

كيف حول كانط الأخلاق الى قانون كوني عالمي؟ و ما هي المعايير التي اعتمدها كانط ليؤسس لأخلاق كونية عالمية؟

ويمكن أن تتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات الفرعية نذكر منها:

- ما هو أساس القيمة الأخلاقية عند كانط؟
- ما العلاقة بين الإرادة والواجب؟ وما هي أبعاد الأخلاق الكونية؟
- ما هي أهم الانتقادات التي تعرضت لها هذه الفلسفة؟
- أين يتجلى الأثر و الامتداد الفلسفي لنظرية أخلاق الواجب في الفلسفات المعاصرة؟

أهمية موضوع البحث:

موضوع الاخلاق الكونية يتسم بالأهمية ويفرض نفسه بقوة على الساحة الفكرية، وتعتبر دراسته خطوة مهمة في تطور الفكر الفلسفي والنقدي والتعمق في دراسة قضايا متعلقة به كحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية.

أهداف البحث :

- أحاول من خلال هذه الدراسة الوصول الى مجموعة من الأهداف منها:
- تعزيز الفهم الفلسفي للأخلاق وتطبيقاتها العملية.
- تقديم دراسة عميقة ومفصلة لمفاهيم الأخلاق الكونية الكانط وتطبيقاتها وتأثيراتها الواسعة.

أسباب اختيار البحث :

البحث في مجال الأخلاق الكونية الكانطية يعتبر مثيرا ومميزا لعدة أسباب و اعتبارات منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي:

الأسباب الذاتية :

من الأسباب الذاتية التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع هو اهتمامي بتحليل أعمق لمبادئ الأخلاق الكونية التي وصفها كانط والتي ما زالت تؤثر بشكل كبير على الفلسفة الأخلاقية المعاصرة، فاختيار هذا الموضوع نابع من رغبتني في فهم كيفية تطبيق مبادئ الأخلاق الكانطية وتقييم مدى ملائمتها لمشاكل الأخلاق المعاصرة، و تقديم رؤى جديدة حول تطبيقاتها في سياقات متعددة.

الأسباب الموضوعية:

- يعتبر البحث إسهاما في النقاشات الأكاديمية حول فلسفة كانط الأخلاقية وتدعيما للبحث الأكاديمي في هذا المجال.
- تعلق الموضوع بالأخلاق التي تعتبر الجانب الأساسي الذي يشكل شخصية الإنسان.

- المنهج المتبع في انجاز البحث:

من أجل معالجة هذا الموضوع والاجابة الاشكالات المثارة حوله، والإحاطة بجميع جوانبها اعتمدت على المنهج التحليلي الذي توخيت منه الاقتراب من فكر الفيلسوف بالتحليل والشرح وتتبع مسار وأصول أفكاره وشرح معالم مشروعه العالمي، فحاولت تحليل الأفكار الأساسية من أجل توضيح مضامينها وكشف أبعادها ثم استخلاص النتائج، كما اعتمدت المنهج النقدي من خلال عرض آراء بعض الفلاسفة ممن تناولوا نظريته بالثمين والنقد.

- الخطة المعتمدة في البحث :

من أجل حل الإشكال الذي طرحته قادتني متطلبات البحث ومادته إلى إتباع الخطوات التالية من أجل بناء هذا البحث، حيث قسمته إلى ثلاثة فصول ومقدمة وخاتمة:

حيث تضمنت المقدمة تعريفا بالموضوع وطرحا لإشكاليته ثم صرحت بالمنهج المتبع

الذي اعتمدته، أما مضامين الفصول الثلاثة فكانت كالآتي:

تعرضت في **المبحث الاول** للأصول الفكرية لنظرية كانط الأخلاقية محاولة الإحاطة ببعض المؤثرات التي ساهمت في تكوين فكره الأخلاقي، أما **المبحث الثاني** فتناولت فيه المشروع الأخلاقي الكانطي بمبادئه وأسسها التي جاء بها كانط، أما **المبحث الثالث** فتطرق فيه إلى قواعد الأخلاق الكونية عند كانط وأهدافها.

الفصل الثاني الموسوم بـ الأخلاق الكونية الكانطية في الميزان، حيث تعرضت فيه لانتقادات بعض الفلاسفة لنظرية كانط إذ خصصت **المبحث الأول** لنقد هيغل أما **المبحث الثاني** فتناولنا فيه اعتراضات و مؤاخذات شوبنهاور والبديل الذي جاء به عوضا عن أخلاق الواجب، أما **المبحث الثالث** فخصصناه لانتقادات نيتشه لأخلاق كانط وأشرنا إلى أخلاق القوة التي رأى نيتشه أنها يمكن أن تعوض الأخلاق الكانطية، أما **المبحث الرابع** فخصصته لنقد مدرسة فرنكفورت لأخلاق كانط وذلك بالتركيز على آراء وأفكار فيلسوفها هوركمايهر في هذا المجال، أما **الفصل الثالث** فعنوته بتأثيرات نظرية الكونية الكانطية في الفلسفة المعاصرة، حيث قسمته إلى ثلاثة مباحث تناولت في **المبحث الأول** امتدادات أخلاق الواجب في الفلسفة الألمانية واتخذت من تداولية كل من يورغن هابرماس و كارل اتو ابل نموذجين لها، أما **المبحث الثاني** تعرضت فيه لامتدادات و حضور هذه النظرية في الفلسفة الأمريكية مع نظرية العدالة لجون رولز، أما **المبحث الثالث** فتطرق في لامتدادات هذه النظرية في الفلسفة الفرنسية مع كارل بوبر.

وقد أنهيت هذه الدراسة بخاتمة كانت بمثابة حوصلة لما تناولته في البحث حيث تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها، كما تضمنت المكانة التي تحظى بها الفلسفة الأخلاقية الكانطية في المجال الأخلاقي بصفة عامة.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث :

اعتمدت في بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع لعل أهمها كتب كانط والمتمثلة في "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق" و"نقد العقل العملي" و "مشروع للسلام الدائم"، كما اعتمدت بشكل كبير على بعض المراجع التي استقيت منها المادة العلمية في هذا البحث ككتاب "تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية" لمحمد مهران رشوان، وكتاب "الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع" لمحمد بدوي، و"المشكلة الخلقية" لذكريا إبراهيم، وكتاب عثمان أمين "رواد المثالية في الفلسفة الغربية".

الصعوبات التي واجهتني في انجاز البحث :

أما عن الصعوبات التي واجهتها فيمكن ذكر بعضها في النقاط الآتية :

- رغم توفر المراجع حول بحثي إلا أن ما يوجد في المرجع الواحد يكون مكررا في مرجع آخر، لأن هذه المراجع قد عالجت الموضوع من زاوية واحدة.

- تشعب المادة العلمية وتناثرها في المراجع مما وجدت معه صعوبة في وضع خطة تستوفي كل عناصر الموضوع .

- صعوبة التوفيق بين العمل وإعداد البحث، حيث يتطلب هذا الأخير بحثاً عميقاً وتحليلاً دقيقاً مما يعني ضرورة تخصيص وقت كاف لكل جزء من أجزائه .

ولكن بفضل الله و توفيقه تمكنت من تجاوز هذه الصعوبات، وأخيرا آمل أن أكون قد وفقت في تحقيق ولو بعض الأهداف المرجوة ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

نحو الكونية في الأخلاق

عند كانط

- ❖ المبحث الأول: الأصول الفكرية لمشروع كانط الأخلاقي
- ❖ المبحث الثاني: المشروع الأخلاقي الكانطي
- ❖ المبحث الثالث: قواعد الأخلاق الكانطية وأهدافها
- ❖ خلاصة الفصل الأول

الفصل الأول: نحو الكونية في الأخلاق عند كانط

تمهيد:

لقد تميزت الفترة التي سبقت ظهور الأخلاق الكانطية بعدة مميزات شكلت الخلفية الفكرية التي ساعدت في بروز أفكار كانط الأخلاقية، والتي غيرت مجرى الفلسفة الغربية، حيث ظهرت الأخلاق الكانطية في العصر المسمى بعصر التنوير الذي سعى لتشجيع التفكير العقلاني والعلمي بعيداً عن السلطة الدينية التقليدية، فإيمانويل كانط هو أحد أعظم الفلاسفة في التاريخ، وأعماله الفلسفية خاصة في مجال الأخلاق كان لها التأثير البالغ، وفي مؤلفه البارز "أسس ميتافيزيقا الأخلاق" قدم كانط نظرية أخلاقية مبنية على مفهوم الواجب والقوانين الأخلاقية العالمية.

لقد كانت فلسفة كانط الأخلاقية تركز على فكرة أن القوانين الأخلاقية يجب أن تكون غير مشروطة وعالمية ؛ بمعنى أنها يجب أن تطبق على الجميع في جميع الأوقات، وقد صاغ كانط هذا المبدأ في صيغة الأمر المطلق والذي ينص على أن الشخص يجب أن يتصرف وفقاً للمبدأ الذي يمكن أن يجعله قاعدة عامة لجميع البشر، وفي هذا الفصل حاولنا الإلمام بمختلف المؤثرات العلمية و الدينية التي ساهمت في بلورة فكرة الواجب عند كانط، حيث تطرقنا إلى مشروع كانط الأخلاقي والأسس التي بني عليها، كما حاولنا تسليط الضوء على قواعد كانط الأخلاقية وأهدافها دون أن نغفل جانباً مهماً عند كانط ألا وهو علاقة الأخلاق بالسياسة ومن هنا تطرح التساؤلات التالية :

- ما هي الخلفية الفكرية لمشروع كانط الأخلاقي ؟
- ما هي الأسس والمبادئ التي بني عليها هذا المشروع؟
- ماهي الغايات السامية التي ركز عليها في نظريته الأخلاقية ؟
- كيف ربط الأخلاق بالسياسة ؟

المبحث الأول: الأصول الفكرية لمشروع كانط الأخلاقي :

لا يمكن فهم أفكار أي فيلسوف إلا من خلال ارتباطها بالفيلسوف نفسه وذلك بتتبع أفكاره والبيئة التي عاش فيها والمؤثرات التي تأثر بها، فلا يمكن فهم فكره إلا بفهم المسائل التي شغلته واحتلت جزءا من تفكيره في ذلك الوقت ، ولذلك يقال عادة إن حياة الفلاسفة ليست سوى حياة أفكارهم ،وقد كانت حياة الفيلسوف إيمانويل كانط حياة منتظمة بعيدة عن صخب الدنيا وممعة في التأمل وقد ظهر صدى هذه الحياة الصارمة في فلسفته بصفة عامة وفي مشروعه الأخلاقي بصفة خاصة .¹

إن فلسفة كانط الأخلاقية لم تبرز من فراغ بل تأثرت بشكل كبير بالمذاهب الفلسفية السابقة التي ساهمت في تشكيل أفكاره ، ولم تطرأ فجأة بل نشأت في سياق تطور الفكر الفلسفي الأخلاقي الذي سبقها ، لقد تأثر كانط بعدد من الفلاسفة كما كان لحركة التنوير والفكر العقلاني دور كبير في بلورة أفكاره وصقل مذهبه .

فلسفة كانط الأخلاقية، المعروفة أيضا بالأخلاقية الكانطية تركز على مفهوم الواجب والنية بدلا من النتائج، ففي قلب فلسفة إيمانويل كانط الأخلاقية يكمن الواجب كمصدر للمسؤولية الأخلاقية، وإذا حاولنا تتبع مسار تشكل فلسفته الأخلاقية نجد العديد من المصادر التي استقى منها كانط نظريته ،والتي كان لها الأثر البالغ في تحديد وجهته وتكوين آرائه في المعرفة ،وكذا الأخلاق والسياسة والعدالة وغيرها من الموضوعات المهمة التي كان له باع طويل في مناقشة ما اطلع عليه من نظريات عصره و سابقيه وطرح آرائه الجريئة في كل مجال .

¹ محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، دط، 2000، ص 86.

يمكن الإشارة إجمالاً إلى هاته المؤثرات كالفلسفة العقلانية ،فقد كان تأثر كانط واضحاً بالفكر العقلاني الذي يُعَلَى من قيمة العقل كمصدر للمعرفة والأخلاق، ولم تكن فلسفته الأخلاقية إلا استناداً واضحاً إلى مبادئ العقل والضرورة العقلانية ،كما تأثر بالفلسفة الأخلاقية القديمة، فقد كانت أعمال الفلاسفة **كسقراط وأفلاطون** ملهماً له في مناقشاتهم حول الفضيلة والواجب ونقطة انطلاق مهمة ،وكذا تأثر كانط بالمدرسة التجريبية وخاصة الفيلسوف **ديفيد هيوم** ،وحاول دمج أفكاره التجريبية مع العقلانية في محاولة لتطوير نظرية معرفة وأخلاق توازن بين التجربة والعقل ، كما كان لفلسفة الدين في عصره تأثيراً على تفكيره حيث شكلت قضايا الدين و الأخلاق جزءاً من تفكيره.

1- كونفشيوس وفكرة الواجب

فلسفة الواجب عند كونفشيوس تتمحور حول مفهوم الواجب كجزء أساسي في بناء المجتمع وتحقيق التوازن الداخلي ، حيث يرى أن الأخلاق والفضيلة تبدأ من الواجبات الأساسية اتجاه الآخرين وخاصة العائلة والمجتمع .

لقد هيمنت فكرة الواجب على **كونفشيوس**، إذ تحتل مسألة الواجب في تعاليمه الأخلاقية المقام الأول فهو شيء مقدس و عظيم، فالواجب الذي يتحدث عنه هذا الفيلسوف العظيم إنما تكمن قيمته فيه ولا يستفيد منها من غيره، أجل هو لا يستمد سلطانه إلا من نفسه التي بين جنبيه، ومن هنا ينبثق القانون الذي يجب أن تصدر عنه كل أفعالنا، إنه قانون عام للناس جميعاً انه قانون الإرادة ¹.

¹ محمد عبد الرحمان مرحبا، المرجع في تاريخ الأخلاق، الأخلاق منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الصين القديمة، طرابلس، لبنان، ط1، 1988، ص271.

فكرة الواجب إذن تتعلق بالشعور الداخلي الذي يسيطر على الإنسان ويوجهه الوجهة الصحيحة دون مراعاة للضوابط الأخلاقية المفروضة أو القوانين الاجتماعية التي تقيد الأفراد.

الواجب عند كونفشيوس لا ينبغي لأحد أن يحيد عنه إذا كان حريصا على الالتزام بالقانون الخلفي وهو قانون الإرادة الطيبة المتحققة بالواجب وبالتالي ليس لأحد أن يتطلب من أعماله إلا أن تكون صادرة عن هذا القانون.¹

لقد تأثر كانط بفكرة الواجب عند كونفشيوس ، هذا التأثير يظهر في نظرية كانط الأخلاقية التي تركز على مفهوم الواجب لمعيار أساسي لتحديد الصواب والخطأ.

إن الواجب الذي دعا إليه كونفشيوس الواجب الذي لا يُطلب لغاية أخرى غير ذاته، وإن أي عمل يقصد به شيء غير مراعاة الواجب لذاته من لذة أو ثروة أو جاه أو أي حظ من حظوظ الدنيا ومتاع الحياة يفقد قيمته الأخلاقية ،ولا يكون جديرا بان يوصف بأنه عمل فاضل.²

والملاحظ هنا أن هناك تقاربا عند كل من الفيلسوفين في تناولهما لمسألة الواجب، ووفقا لكانط فإن الواجب يرتبط بفكرة الأوامر الأخلاقية المطلقة التي يجب إتباعها بغض النظر عن النتائج ، فهو يعتقد أن الأفعال الأخلاقية تقام بناء على نية الفعل وليس نتائجها، فالفضيلة الحقيقية لا يمكن أن تقوم إلا على مبادئ وهذه المبادئ كلما كانت عامة كانت الفضيلة أكثر نبلا و سموا ، وهنا نلمس عنصرا سوف يصبح أساسيا في مذهبه الأخلاقي وهو يتلخص في الاعتقاد بتفوق المبدأ الأخلاقي الموجه لنشاط الإنسان على جميع القوى والملكات الأخرى عند الإنسان.³

¹ محمد عبد الرحمان مرحبا، المرجع في تاريخ الأخلاق، مرجع سابق، ص 272.

² المرجع نفسه، ص 272.

³ محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، مرجع سابق، ص 92

ليست أخلاقية الفعل عند كانط رهنا ببعض الاعتبارات العملية المتعلقة بالنتائج والآثار بل هي رهن بما لدينا من إحساس بالالتزام، على اعتبار أن الإلزام يقوم أولاً وبالذات على بعض العلاقات الباطنة المتضمنة في صميم الفعل الخلقى نفسه.¹ وإذا سئل كونفشيوس عن الواجب وكيف يمكن للإنسان أن يعرفه ويتبع أوامره قال ما عليكم في هذه الحالة إلا أن تصغوا إلى الصوت الذي يحسه كل منكم في قرارة نفسه، وإلا أن تستجيبوا له فبهذا الشكل يكون أداء الواجب وهكذا يعود الإنسان فاضلاً وسعيداً.²

ففكرة الواجب لدى كانط وكونفشيوس تحمل بعض النقاط المشتركة بالرغم من اختلاف السياقات الثقافية والفلسفية، فكانط يؤكد أن الأفعال يجب أن تتم بدافع الواجب وليس لتحقيق منفعة شخصية، وبشكل مشابه كونفشيوس يركز على أهمية النية الصافية والإخلاص في الأداء دون الاعتماد على تبعات الأفعال.

فهذه هي نظرة حكيم الصين ومعلمها العظيم إلى الواجب و تقديسه له، فالأعمال التي تحصل من ورائها منافع مادية أو آثار إيجابية لا قيمة لها بحسب القانون الخلقى، فلا يمكن إلا العمل وفق الصوت الباطني الذي ينبعث من أعماق وجودنا وبعبارة أخرى الإصغاء إلى صوت الضمير، وهذا ما يجعل فيلسوف الصين العظيم أسبق من كانط فيلسوف ألمانيا العظيم في بعض ما ذهب إليه من فلسفة الواجب، ويرفع من شأن كونفشيوس في هذه المسألة بالتحديد مع أن الفارق الزمني بين الفيلسوفين أكثر من اثنين وعشرين قرناً.³

¹ زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية، دار مصر للطباعة، دط، دت، ص 164.

² محمد عبد الرحمان مرحبا، المرجع في تاريخ الأخلاق، مرجع سابق، ص 272.

³ محمد عبد الرحمان مرحبا، المرجع في تاريخ الاخلاق، مرجع سابق، ص 272.

وبناء على ذلك كان لفلسفة الواجب عند كونفوشيوس تأثيرا كبيرا على كانط، الذي استلهم فكرة الواجب الأخلاقي كقيمة مركزية في الأخلاق ، من خلال تعاليم كونفوشيوس حول الالتزام بالمبادئ الأخلاقية والاعتراف بأهمية المسؤولية الفردية والاجتماعية صاغ كانط مفهومه للواجب كغرض قاطع ومطلق ، حيث يرى أن الأخلاق لا تعتمد على العواقب بل على الالتزام بالقوانين الأخلاقية التي ينص عليها العقل .

في النهاية يعكس تأثير كانط بفلسفة كونفوشيوس سعيه إلى تأكيد قيمة الواجب في الأخلاق والاعتراف بالمسؤولية الفردية كجزء أساسي من الحياة الأخلاقية.

2 - الفلسفة اليونانية :

تأثر كانط بالفلسفة اليونانية يبدو من خلال تعمقه في الاطلاع على أعمال أفلاطون وأرسطو ودراستها، فكان أن استفاد منهما في تطوير نظريته الفلسفية خاصة فيما يتعلق بالميتافيزيقا و الأخلاق، لقد أعاد كانط النظر في أفكار الفلسفة القديمة بطريقة تتفق واهتمامات عصر التنوير، فقد تأثر بالعقلانية الأفلاطونية حيث اعتبر أن العقل البشري هو مصدر المعرفة الحقيقية ويجب أن يكون حرا في التفكير .

إن التجربة غير قادرة وبشكل عام عن تقديم المبادئ العقلية التي تؤدي لثبات المعرفة لذلك حاول أفلاطون البحث عن مبادئ عقلية تتأسس عليها المعرفة ووجد ضالته في المثل ، وفي هذا الصدد يقول كانط : « لقد لاحظ أفلاطون بحق تماما أن ملكاتنا المعرفية تستشعر حاجة أسمى بكثير من مجرد تهجي الظواهر لنستطيع أن نقرأها كتجربة

وفقا لقوانين الوحدة التأليفية¹ أي أن التجربة لا يمكن أن تنتظم بدون المفاهيم العقلية التي لا يمكن أبدا أن يكون مصدرها التجربة.²

لقد توصل كانط عن طريق التجربة إلى أن الأفكار الأساسية في الأخلاق شأنها شأن القوانين الطبيعية بوجه عام، والمسلّمات التي يفترضها كل كائن عاقل عند كل تجربة يمارسها إذا أراد أن يصل إلى أي معرفة مهما كان نوعها إنما يجد أصلها ومستقرها في العقل ولا تأتي أبدا من التجربة، فلا يمكن أن تتصور أن الأصل في الأفكار الأساسية في الأخلاق وفي مقدمتها الأمر الأخلاقي المطلق إلا العقل الخالص نفسه.³

فإيمانويل كانط إذن فيلسوف ألماني أصيل تتلاقى في فلسفته دروب الفلسفة السابقة كما تحتوي فلسفته نواة الفلسفات اللاحقة وتعد فلسفته علامة فائقة في تاريخ الفلسفة.⁴

يبين أفلاطون أن الفضيلة ليست مرادفا للذة وليست هي عمل ما يراه كل شخص حقا لأنه إذا كان الحق هو اللذة واللذة هي إرواء الرغبة أو الشهوة وهذه الرغبة ليست إلا شعورا ولهذا يكون الحكم على العمل بالخير أو الشر تابعا للشعور الشخصي ولا يوجد بذلك قانون عام يخضع له الناس جميعا فأخلاقية العمل حسب أفلاطون يجب أن تتبع قيمة العمل الذاتية ولا تتبع شيئا آخر كالرغبة أو اللذة ويجب أن نعمل الخير لأنه خير لا لشيء آخر وراءه.⁵

¹ Kant ; I. Kritik der Reinen Vernunft . p 284 نقلا عن جمال محمد سليمان أنطولوجيا الوجود، إيمانويل

كانط، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت، د ط، 2009، ص 14.

² جمال محمد سليمان، المرجع نفسه، ص 14.

³ إيمانويل كانط ، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، ترجمة عبد الغفار مكاوي ، منشورات الجمل، مراجعة عبد الرحمن بدوي، ط1، 2000، ص 9-10.

⁴ جمال محمد سليمان، أنطولوجيا الوجود، مرجع سابق، ص 15.

⁵ أحمد أمين، زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1935، ص 173.

وفي هذه النقطة يتفق كانط مع أفلاطون في أن القيم الأخلاقية لاتعتمد على العواقب بل على الطبيعة الجوهرية للفعل نفسه. إذ يرى كانط أن العمل يكون فاضلا وصالحا لا بسبب ما ينتج عنه من نتائج حسنة أو طيبة أو بما فيه من حكمة، ولكن لأن هذا العمل قد أدي وفقا لهذا الشعور الداخلي بالواجب.¹ لقد أراد أفلاطون في رأي كانط أن يفرض العقل والنظام على الطبيعة ليتسنى له فهمها والارتقاء بها، وقد أعجب كانط بدستور الجمهورية لأن الهدف من وضعه ليس تقييدا للحرية أو الإلزام القهري أو سلوك الأفراد داخل الجمهورية وإنما إتاحة الحرية للجميع وفقا لنظام ما.²

رغم أن كانط لم يتبع أرسطو بشكل مباشر، إلا أن هناك تقاربا بين نظريته الأخلاقية ونظرية أرسطو، فكانط اعتمد على مفهوم الواجب والالتزام الأخلاقي الذي يتماشى مع أفكار أرسطو عن الفضيلة ولكن بطريقة مختلفة، فهو يتفق معه في رفض تأسيس الفعل الأخلاقي على السعادة، لأن السعادة مسألة ذاتية بحتة لا تصلح أن تكون قانونا عاما للأخلاق التي يجب أن تأسس على مبادئ عقلية أولية.³

كما تأثر كانط بمنطق أرسطو ولكنه نقده وطور أفكاراً جديدة في هذا المجال مثل نظرية المعرفة والفلسفة النقدية، وعلى أية حال فقد استفاد كانط من أرسطو كثيرا خاصة حين أفسح مكانا للإدراك الحسي في المعرفة العقلية، وحين أسس المعرفة على المبادئ العقلية الأولية ورفض مثل أرسطو أن يكون بوسع المعرفة الحسية بذاتها أن تقدم لنا معرفة تتأسس على أسس عقلية راسخة.⁴

¹ وول ديورنت قصة الفلسفة الحديثة، ترجمة فتح الله محمد مشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط6، 1988، ص 350.

² جمال محمد أحمد سليمان، أنطولوجيا الوجود، إيمانويل كانط، مرجع سابق، ص 18.

³ جمال محمد أحمد سليمان، المرجع نفسه، ص 25

⁴ جمال محمد أحمد سليمان، المرجع نفسه، ص 25

و بالمجمل كانط نقد واستفاد من فلسفات سابقة بما في ذلك فلسفة أرسطو لتطوير أفكاره الخاصة حول المعرفة والأخلاق.

3- كانط والنزعة العلمية:

لقد تأثر كانط بشكل عميق بالنظريات الفيزيائية لنيوتن حيث كان لنظرية نيوتن في الجاذبية والحركة دور رئيسي في تشكيل فلسفته؛ إذ كان لديه اهتمام خاص بالعلم الطبيعي وحاضر في الفيزياء وعلم الفلك والرياضيات وفي الفلسفة أيضا، وقد حظي باستخدام مكتبته على أن يُحصّل معرفة بعلم نيوتن، فقد كانت أغلب كتاباته كانط الأولى بالفعل ذات طبيعة علمية غالبية وأبقى باستمرار على اهتمام عميق بالموضوع.¹

إن كانط يسلم بمعرفتنا العادية بالموضوعات وبمعرفتنا العلمية ويعني العلم الفيزيائي عنده فيزياء نيوتن، ويتضح أنه لم ينظر إلى أن مهمة الفيلسوف تكمن في أن يحل محل الفيزياء الكلاسيكية مذهباً آخر، أو أن يخبرنا بأن معرفتنا العادية كلها بالأشياء ليست معرفة على الإطلاق وإنما يستطيع الفيلسوف إذا سلمنا بتجربتنا العادية ومعرفتنا العلمية أن يميز بين العناصر الصورية والمادية، العناصر القبلية والبعدية في معرفتنا النظرية بالموضوعات عن طريق عملية التحليل، إن مهمة الفيلسوف النقدي هي أن يعزل هذه العناصر ويبينها بطريقة منظمة.²

إسهامات نيوتن مؤثرة في الفيزياء والرياضيات والفلك وأثرت بشكل عميق على العلوم الحديثة، فمع هذا الأخير تعرف الفيزياء الكلاسيكية إكمالها ونضجها، كما يصبح الإصلاح العلمي حقيقة، فمع نيوتن يصبح العلم الحديث مؤهلاً لكي يقدم تصوراً عاماً

¹ سالم يا فوت، إستيمولوجيا العلم الحديث، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2008، ص 260.

² فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، الفلسفة الحديثة من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط، مجلد 6، ترجمة حبيب الشاروني أحمد القاهرة المركز القومي للترجمة، ط 1، 2010، ص 267.

متكامل الجوانب من كل الظواهر الكونية، فهو استطاع أن يقدم لنا بناء متناسقا ذا أسس وركائز تجد فيه كل الظواهر المستجدة ملجأها النظري وهذا ما يبرر القول بأن نيوتن هو واضع العلم الحديث ، وبأن أعماله تكمل الثورة العلمية للعصر الكلاسيكي.¹

لقد اهتم كانط بمسائل علمية وقرأ كثيرا في الأدب العلمي وكانت رسالة الدكتوراه التي قدمها للجامعة عام 1755 عن النار، ونشر في العام نفسه أعمالا منها " تاريخ طبيعي عام" و"نظرية السماوات" وكتب مقالين، مقال عن "حركة الأرض حول محورها" ومقال آخر عن السؤال الفيزيائي "عما إذا كانت الأرض تكبر"، ومنه يمكن القول أن حياة كانط في المرحلة الأولى اهتم فيها بمشكلات عن الطبيعة العلمية وهنا يمكننا لفت الانتباه إلى الطابع العلمي المهيمن في كتابات كانط ، فهو لم يتخل عن الفيزياء النيوتونية من أجل أي نوع من الفيزياء.²

لقد كانت فيزياء نيوتن بمثابة الدعامة الأساسية التي وجد فيها كافة المشروعات العقلية والعلمية التي يمكن أن تؤسس عليها نظريته في المعرفة والأخلاق، فالفيزياء النيوتونية أصبحت مرجعية للدفاع عن المنطلقات والمبادئ القبلية لفلسفته النقدية، إذن فالفلسفة الكانطية غطاء فلسفي لفيزياء نيوتن و المقولات ، كما تصورها كانط والتي هي في نظره قبلية وسابقة عن كل تجربة ليست في الحقيقة سوى استعادة للحقل المعرفي للعلم النيوتوني ولتصوراته.³

وإذا كان كانط قد تأثر بفيزياء نيوتن أيما تأثير فهو لم يهمل الرياضيات التي كان لها جزء من اهتمامه، إذ يرى أن الأخلاق يجب أن تكون مبنية على مبادئ عقلانية مجردة

¹ سالم يا فوت ، إبستومولوجيا العلم الحديث، مرجع سابق ، ص29.

² فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة ، الفلسفة الحديثة من عصر التنوير حتى كانط ، مرجع سابق، ص 266-267.

³ بن حجة عبد الحليم ، القيم الأخلاقية بين النسبي والمطلق، دراسة تحليلية نقدية لنظرية القيمة الاخلاقية عند كانط ، ماجستير 2013 جامعة وهران، وهران، ص41.

مثلاً مثل الرياضيات ، حيث تسعى الرياضيات للوصول إلى نتائج دقيقة ومنظمة من خلال تطبيق قواعد واضحة ، ففي أعماله استخدم كانط منهجاً يشبه المنهج الرياضي في بناء نظرياته خاصة كتابه "نقد العقل الخالص" و"نقد العقل العملي" ، هذا الأخير الذي قدم فيه لمفهوم القانون الأخلاقي الذي يأخذ من القوانين الرياضية دقتها وشموليتها ، فقد كانت لدى كانط رغبة في إقامة الأخلاق على أسس رياضية ثابتة أو كالرياضية في ثباتها، فكما يوجد فينا عقل نظري خالص مبادئه قبلية وفطرية ، و بموجبها نحكم ونفهم ونوحد الخبرة الواقعية، يوجد فينا عقل عملي فطري نزن ونحكم به على خياراتنا ضرورية، فكانت هنا أراد أن يعبر عن صفة عامة مطلقة للأخلاق تصلح قانوناً عاماً ومرشداً في سلوكنا و يمكن تلخيص رأي كانط في نقطتين¹ :

1- ادعائه بأن بديهيات الأخلاق تركيبية قبلية شأنها شأن البديهيات الرياضية والفيزيائية.

2- إقامة الأخلاق على أساس رياضي أو مماثل للرياضيات بإيجاده لصيغة الأمر المطلق .

وبالمجمل يمكن القول أن كانط من خلال هذا المنهج سعى إلى تطوير نظرية أخلاقية تتسم بالكونية والضرورية مثل القوانين الرياضية التي لا تتغير و تعتبر موحدة عند الجميع، فالرياضيات إذن قدمت لكانط إطاراً تنظيمياً ونموذجاً لأسس الأخلاق التي حاول بناءها.

¹ حسام امحي الدين الالوسي ، التطور والنسبية في الاخلاق ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1989، ص 102 ، 103 .

4. أثر البيئة الدينية:

تأثرت فلسفة كانط الأخلاقية بالتربية الدينية التي تلقاها، فقد نشأ في عائلة متدينة وبيئة متشددة، حيث كانت القيم الدينية جزءاً أساسياً من حياته اليومية، هذه الخلفية الدينية شكلت إطاراً مبكراً لقيمه الأخلاقية وعقيدته .

لقد وُجه كانط نحو المسائل الأخلاقية منذ الطفولة ، فربته أمه على الفضيلة والأخلاق الحميدة وغرست في قلبه التعاليم الدينية السائدة التي كانت تتفّر من الرذيلة وتدعو إلى تربية الضمير وإحياء الشعور.¹

لقد نشأ كانط في جو مسيحي مشبع بروح النزعة التقوية ، فأثرت هذه التربية الدينية التي تلقاها منذ صباه على نفسه، خصوصاً أن والدته كانت متمسكة بهذه النزعة الدينية المحافظة ، والتي التي ظهرت ضد شتى النزعات الفكرية الحرة ، وهنا نجد أن النزعة التقوية قد أثرت على تفكير كانط الديني لاسيما وأنها كانت حريصة على تأكيد الطابع الفردي المحض بالإيمان الديني، فضلا على أنها كانت تُعلي من شأن الإرادة الخيرة أو النية الطيبة وتقدمهما على شتى المعتقدات العقلية والطقوس الشكلية والعبارات الخارجية .²

فكانط إذن ينحدر من أبوين فقيرين على جانب عظيم من التقوى والفضيلة ، كان الاتجاه الديني لهما يعود إلى شيعة بروتستانتية تقوية ، وقد كان هذا المذهب الديني يتمسك بالعقيدة اللوثرية الأساسية التي ترى أن محل الدين الإرادة لا العقل وتُعلي من شأن القلب والحياة الباطنة ، من ثمة تصل إلى اقتناع بأن الإيمان هو الذي تؤيده الأعمال وأن المسيحية في جوهرها تعتبر تقوى ومحبة لله ، فقد نشأ كانط على هذا المذهب و تشبع به في المنزل

¹ يوسف كرم ، إبراهيم مذكور، دروس في الفلسفة، عالم الأدب للترجمة والنشر، بيروت لبنان، ط1 ، 2016، ص 468.

² الشيخ كامل محمد محمد عويضة ، عمانويل كانط شيخ الفلسفة في العصر الحديث، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 ، 1993، ص 5.

والمدرسة والجامعة فكان له الأثر الكبير في توجيه فكره حتى كَوَّن فلسفة متميزة تميزا تاما ،حتى أنه يرى أن إقامة الايمان لا يكون الا بهدم العلم.¹

لقد كان لأم كانط دورا بارزا في حياته وتشكيل شخصيته ، ففيما يروى عنها أنها كانت شخصية قوية و مؤثرة مما ساهم في تشكيل مبادئه الأخلاقية و نظرياته في الواجب والالتزام ، وعلى الرغم من أنها قد توفيت حين كان الفيلسوف ما يزال في الثالثة عشر من عمره، إلا أنها استطاعت أن تغرس في نفسه منذ نعومة أظفاره روح الإيمان والإعجاب بالظواهر الكونية والشعور بسمو الطبيعة فكل هذه الصفات وغيرها ستظل ملازمة لشخصية كانط في كل مراحل عمره ومع تطور حياته، وربما كانت هي المسؤولة إلى حد ما عن تمسك كانط الشديد بالفيزياء والأخلاق.²

فانخراط أمه كعضوة في جماعة دينية محافظة تتمسك بالعقيدة الدينية تمسكا دقيقا شديدا لاهوادة فيه ولا تسامح، جعلت فيلسوفنا ينغمس في الدين من الصباح إلى المساء.³

لقد كان للقيم المسيحية مثل الفضيلة والواجب الفاعلية في تكوين شخصيته وكانت مبادئها حاضرة في خلفيته الفكرية ، فطابع الأسرة التي كانت تولى العناية الكبرى للدين وتقدس كل تعاليمه انعكست فيما بعد على شخصيته وإيمانه بالقيم العليا والواجب.

5. تأثير دافيد هيوم:

من الفلاسفة الذين تركوا بصمة واضحة في فلسفة و فكر كانط الفيلسوف "دفيد هيوم" والذي من خلال نقده للميتافيزيقا والتأكيد على أن المعرفة تأتي من التجربة الحسية

¹ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د ط1، 2012، ص 222.

² الشيخ كامل محمد محمد عويضة، عمانويل كانط، شيخ الفلسفة في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 6.

³ زكي نجيب، قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د ط، 1936، ص 259.

مما دفع كانط إلى إعادة التفكير في طبيعة المعرفة وكيفية اكتسابها ، فسعى بذلك إلى دمج نتائج التجربة الحسية مع مبادئ العقلانية .

لقد كان هناك تشابه بين الفيلسوفين من ناحية نتائج التأثير والتأثر الحاصل بينهما، ولكن يجدر بنا أن نحدد فضل "هيوم" على "كانط" واشادته بدوره في صقل شخصيته، فكانط نفسه يبجل هيوم ويحمد له ما قام به من جهد في رسالة إلى هاردر عام 1768 إذ يحتل هيوم المكانة الأكبر بين معلميه وأساتذته ورأى أنه من الضرورة الاعتراف علنا أن تنبیه هيوم هو الذي أيقظه من السبات الدوغماتي منذ عدة سنوات مضت ، ووجه بحوثه في حقل الفلسفة التأملية وجهة جديدة تماما ،ويمكن القول أن تأثر كانط بهيوم كان عاملا على إرشاده وتنبيهها لما غفله في فلسفته ومحركا لتفكيره النقدي ،فقد كان مبدأ العلية هو بداية مشروع كانط حينما استمد بعض الملاحظات من تصور هيوم .¹

لقد كان هيوم باعتراف كانط نفسه الرجل الذي أيقظه من سباته القطعي بما أثاره من شبهات وشكوك عن العلية ، فقد بين هيوم أن الاعتقاد السائد بين الناس من أن المعلول يتبع العلة ضرورة هو اعتقاد خاطئ ولا يستند إلى أساس سليم .² ويمكن أن نلاحظ بكل سهولة التوازي الموجود بين مشروع هيوم وكانط من خلال العناوين الرئيسية لأعمالهما ، فقد اشتملت رسالة هيوم في الطبيعة البشرية على ثلاثة أبعاد تناول في أحدها الفهم الإنساني وتناول في الثاني العواطف وتناول في الثالث الأخلاق، أما كانط فتنوع فلسفته النقدية بين ثلاثة كتب تأتي مناظرة تماما لأعمال هيوم كالاتي : " نقد العقل المحض " و"نقد

¹ محمد عبد الله الخالدي، نظرية العلم والمعرفة عند كانط، مجلة مداد الآداب العدد الثاني والعشرون، جامعة بغداد كلية الآداب، ص 582.

² عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، د ط، 1989، ص 57.

العقل العملي" و"نقد ملكة الحكم" ، ومنه يمكن القول بوجود تناظر بين مشروع هيوم و كانط، وأن المشروع الفلسفي لكانط قد تشكل بالتوازي مع مشروع هيوم.¹

وتأسيسا على ما سبق يمكن القول أن فلسفة هيوم كانت دافعا رئيسيا لتطوير فلسفة كانط ،حيث دفعته لتصحيح المسار الذي سلكه الفلاسفة السابقون وتطوير نظام فلسفي يجمع بين التجربة والقدرات العقلية .

لقد كتب كانط رسالة إلى تلميذه السابق ماركوز هرتس في 21 فبراير 1772 يعلمه فيها بأنه بصدد إصدار كتابه "نقد العقل الخالص" وأنه سينشره في غضون ثلاثة أشهر، وخلال هذه الفترة كان كانط قد قرأ الفلسفة التجريبية لدفيد هيوم في كتابه "رسالة في الطبيعة البشرية" الذي كان له تأثير حاسم على أفكار كانط ، فقد تحقق من أن المذهب التجريبي والمذهب العقلي يمكن الجمع بينهما في مركب واحد² .فبعد أن قرأ كانط الترجمة الكاملة لكتاب هيوم "بحث في العقل الإنساني" تأثر به في إنكاره للميتافيزيقا بالإجمال وكان مأخوذا بالعبارة الشهيرة الواردة في هذا الكتاب عن اللاهوت والميتافيزيقا وتساءل هل يحويان استدلالا مجردا يتعلق بالكم أو العدد، أوهل يحويان استدلالا تجريبيا يتعلق بأمر الواقع والوجود ، وخلص إلى أن هذه الكتب لا تحمل إلا السفسطة و الاضطراب ، فلم يكن تأثير هيوم في كانط مجرد تمسك ببعض العبارات وإنما تأثير توجيه وتطوير.³ فالفكرة الأساسية المشتركة بين هيوم و كانط إذن هي إنكار القوانين الموضوعية في الطبيعة ،و

¹ محمد عثمان الخشت، الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم، دار قباء للطباعة والنشر و التوزيع ، دط، القاهرة، دت، ص52.

² كرسنوفر وانت أند زجي كليموفسكي، أقدم لك كانط ترجمة إمام عبد الفتاح إمام المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، 2002 ، ص 41.

³ محمود زيدان كانط وفلسفته النظرية دار المعارف، ط3 ، 1979، ص60.

استتباط شروط التجربة الخصوصية والمبادئ والمصادرات والموضوعات الخصوصية من الذات أي من الشعور البشري وليس من الطبيعة¹.

إن هذه المبادئ تقوم بدور مشابه لذلك الدور الذي تقوم به المقولات عند كانط مما يقودنا إلى القول بأن صور ومقولات كانط هي تطور الترنسندنتالي²، وإجمالاً يمكن القول أن تأثير دفيد هيوم على كانط يعد أحد أعظم التحولات في تاريخ فلسفته وذلك بإثارة هيوم شكوكا عميقة حول المعرفة والسببية مما دفع كانط إلى إعادة النظر في مبادئ الفلسفة التقليدية،

وتأثر كانط بشدة بانتقادات هيوم حول القدرة البشرية على المعرفة المطلقة ونتيجة لذلك طور نظرية المعرفة الخاصة به، فاستطاع بذلك أن يقدم تصوراً أكثر دقة وكيفية تفاعل العقل مع العالم، فتأثير هيوم كان بمثابة الحافز الأساسي الذي دفع كانط نحو إرساء أسس الفلسفة الحديثة وجعل من فكره نقلة نوعية في فهم المعرفة والوجود.

6- تأثير فلسفة جان جاك روسو :

يعد جون جاك روسو أحد أهم الأعلام الرئيسيين في الفلسفة لسياسية والأخلاقية وقد كان له تأثير كبير على الفلسفة الأخلاقية في عصره، إذ كان أثر فلسفة روسو على كانط واضحاً في تشكيل رؤيته الأخلاقية على الرغم من أن كانط لم يتفق مع كل أفكار روسو، إلا أن الأفكار والتحديات التي طرحتها فلسفة روسو حول طبيعة الإنسان والمجتمع قد أثرت في تطوير كانط لنظريته الأخلاقية التي تركز على الواجبات الأخلاقية.

¹ محمد عثمان الخشت، العقل وما بعد الطبيعة، تأويل جديد لفلسفة هيوم وكانط، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2008، ص 60.

² محمد عثمان الخشت، العقل وما بعد الطبيعة، ص 63.

لقد اتجه كانط في الأخلاق اتجاها متأثرا بجون جاك روسو حتى وإن كان مذهبه النهائي في الواجب والأمر المطلق يختلف عن مذاهب العاطفة ،وهو يدين لجون جاك روسو خاصة بتلك الفكرة التي تقول أن قيمة الإنسان ليست في ذكائه الفذ فقط بل تتمثل أيضا في عاطفته و عمق شعوره الروحي ، وقد تبنى من هذه الفكرة مبدأ لازمه طول حياته هو الكرامة الإنسانية واعتزاز المرء بشخصيته كإنسان.¹

لقد عرفت أعمال روسو انتشارا واسعا في مختلف أنحاء أوروبا فكان بذلك على رأس أكثر المؤثرين في المجتمع وفي الحياة الفكرية، فقد عرف بفكره المناهض لتقدم البشرية نحو الأفضل ، وآرائه حول تأثير العلوم وإفسادها لحالة الطبيعة ،وقد جعله هذا الفكر على خلاف مع كثيرين من معاصريه ، أما كانط فرأى أن هذا الغريب في وطنه قد قاده إلى الصواب ورأى أيضا أن روسو هو الذي كشف عما للتفكير من تأثير على وحدة الإنسان الطبيعية وعلى ذاته وعلى وجود الآخرين.²

لقد كان عصر كانط عصرا مجيدا ازدهرت فيه المعارف والآداب وعاش فيه مرموقون نابهون مثل "هاردر" و "جوته" و "شيلر" و قد ألم كانط كانت بمجمل الثقافة الألمانية في عصره وواصل تأملاته بصحبة ثلاثة من المفكرين من غير الألمان وهم "نيوتن" و"هيوم" و"روسو" وجميعهم أثروا فيه أبلغ التأثير، وقد أخذ عن هذا الأخير الشعور العميق بيقين الضمير الذي نستشعره في وجداننا استشعارا مباشرا ليس إلى الارتياح فيه من سبيل.³

عندما قرأ كانط لروسو تغير تفكيره تغييرا عميقا ، فقد كان روسو يدعو إلى الرجوع إلى الطبيعة أي للفطرة وينبذ بذلك كلما غشاها به المجتمع من أعراف وتقاليده، وقد رأى

¹ محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، مرجع سابق، ص90.

² إيمانويل كانط، نقد العقل العملي، مركز دراسات الوحدة العربية للترجمة ، ط 1 ، 2008، ص 15.

³ عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص 66.

كانط أنه كان يظن أن العلم هو الغاية القصوى للإنسانية حتى أوصله هذا الظن إلى احتقار الشعب الجاهل، فرفع روسو الغشاوة عن عينيه وعلمه أن حال الطبيعة أسمى من حال المدنية، وأن التربية يجب أن تقتصر على ضمان حرية الميول الطبيعية ولا تلتفت إلى الأعراف الاجتماعية المصطنعة، فكما أن نيوتن وجد المبدأ الذي يربط بين قوانين الطبيعة المادية، كذلك استكشف روسو الحقيقة البسيطة التي تضيء الطبيعة الإنسانية إلى أعماقها وهي الأخلاق الصافية والمصطفاة من كل إضافة زائفة.¹

لقد اكتسب كانط من قراءته لمؤلفات روسو الكثير من الثقافة فقد كانت لأعمال روسو خاصة "العقد الاجتماعي" و"أصل التفاوت" تأثير كبير على فكر كانط وما تضمنه كتابه "نقد العقل العملي" من أفكار في هذا الموضوع ساعد عليها جون جاك روسو، و يعترف كانط بتأثير روسو في حواشي بحثه "ملاحظات حول الشعور بالجمال والجلال" عام 1764 التي يقول فيها أن روسو وضع أموري في نصابها.²

وذكر محمد بدوي أن كانط يقول "كنت بطبيعتي نهما للعلم أسعى بتلهف وشوق إلى المعرفة، وكنت أعتقد أن شرف الإنسان يقاس ويقدر بما يكتسبه من علم، ولذلك كنت أحتقر العوام الجهلاء ولكن روسو أعادني إلى التوازن وعلمني كيف أهمل المجد الزائف وكيف أجعل من القيمة الأخلاقية الأساس الذي أقدر به الكرامة الحقيقية للنوع الإنساني، وإني أعتبر روسو نيوتن النظام الأخلاقي، إذ أنه اكتشف في العنصر الأخلاقي، أهم عامل يكون وحدة الطبيعة الإنسانية مثلما اكتشف نيوتن المبدأ الذي ربط بين جميع قوانين الطبيعة الفيزيائية³، وهذا النص يدفعنا إلى الاعتقاد بأن ثورة حدثت في تفكير كانط بتأثير من روسو، فقد استفاد كثيرا من أبحاث معمقة حول فلسفة روسو فربط

¹ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 224.

² كرسنوفر وانت أندرجي كليموفسكي، أقدم لك كانط، مرجع سابق، ص 89.

³ محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، مرجع سابق، ص 91.

بين منظومة روسو الفلسفية وجوانب عديدة من فلسفته الأخلاقية والحقوقية والسياسية والاجتماعية، وقد جمعها في ذلك هدف واحد إعادة الحقوق إلى أصحابها على أساس المساواة والاحترام لقيمة كل إنسان.

إن صاحب العقد الاجتماعي إذن قد أقام بحسب رأي كانط ثورة في الأخلاق على قدر من الأهمية يساوي ثورة نيوتن في الفيزياء، فحن إذن أمام ثورتين عند كانط إحداها في المعرفة النظرية والتي لمسناها في كتابه "نقد العقل المحض" والثانية في الأخلاق وظهرت بوادرها في كتابه "نقد العقل العملي" الذي جسد فيه شروط و مبادئ الفعل الأخلاقي.¹

لقد تأثر كانط بعدد من القيم التي قدمها جون جاك روسو وهو في ذلك يقول إن روسو هو صاحب فكرة أن الإرادات الإنسانية تستطيع بل يجب أن يؤثر بعضها في بعض وأن الناس يجب أن يعملوا على تبادل الثقافة بينهم فلا تغدو الفضيلة متمثلة في الكمال الفردي بل في مقدار ما يكونه المرء من علاقات طيبة مع الآخرين وختم كانط تعليقه على هذه الفكرة بقوله يجب أن تتكون جمهورية للإرادات.²

وكما تأثر كانط بروسو و أفكاره حول الحرية والطبيعة الإنسانية وخصوصاً فكرة العودة إلى الطبيعة، فقد تأثر أيضاً بصفاته الشخصية وما عرف عن روسو من هدوء واستقرار و تواضع . وقد يكون أصدق تعبير لتأثير روسو على كانط هو تواضع الفيلسوف الذي احترمت العامة والعامل البسيط، فكان بذلك لكانط مثلاً حياً بأصوله المتواضعة وزهد بزهو العلوم والتقدم المادي، فكان لكانط أيضاً سعي روسو في فلسفة الأخلاق حيث وجه

¹ إيمانويل كانط ، نقد العقل العملي ، مرجع سابق، ص 17.

² محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص 91.

اهتمامه نحو الإنسان العادي البسيط وقيمته وحقوقه، فقضى بذلك على فكرة الخير السابقة التي تقبع في عالم الأفكار ليعيد إياها لتصبح قانوناً للإرادة الحرة.¹

وكخلاصة لما سبق يمكن القول أن كانط تأثر بأفكار جون جاك روسو؛ حيث أكد هذا الأخير على أهمية حرية الفرد وتحرره من القيود الاجتماعية والسياسية، وهذا التأكيد على الحرية نلمسه عند كانط الذي اعتبر الحرية الفردية ضرورية لتحقيق الأخلاق الحقيقية، كما تأثر بفكرة المساواة التي دعا إليها روسو فاعتبر كانط أن البشر يملكون كرامة وقيمة متساوية ويجب أن يعاملوا باحترام، وفي نقطة أخيرة فإن فكرة الحقوق الطبيعية للأفراد كان لها أثرها الطيب في فلسفة كانط ليتطور هذا المفهوم ويصبح جزءاً أساسياً من نظريته الأخلاقية حيث ربط حقوق الإنسان بالأخلاق الكونية.

¹ إيمانويل كانط، نقد العقل العملي، مرجع سابق، ص 17.

المبحث الثاني : المشروع الأخلاقي الكانطي.

يعتبر الفيلسوف الألماني ايمانويل كانط (1724م – 1804م) أحد أبرز المفكرين في مجال الفلسفة الأخلاقية ، ومن خلال أعماله البارزة "أسس ميتافيزيقا الأخلاق" و "نقد العقل العملي"، قدم كانط نظرية أخلاقية تعرف بأخلاق الواجب أو النظرية القيمية ،وقد كان لهذه النظرية تأثير بالغ في فلسفات عصره والعصور اللاحقة ،حتى أن أحد الكتاب علق على مذهب كانط قائلاً : "هذا مذهب سام بلا ريب، ولطالما أثار الإعجاب ،وإن القارئ لكانط في الأخلاق ليحمد له سمو روحه و شدة غيخته على الفضيلة وهو القائل : شيئان يملأني إعجاباً، السّماء ذات النجوم فوق رأسي والقانون في نفسي"¹، والسؤال المطروح هنا: ما هي الأسس والمقومات التي بنى عليها كانط نظريته الأخلاقية حتي كان لها هذا الصيت والأثر البالغ من التأثير و تناولها الكثير من المفكرين والكتاب دراسة وتحليلاً ونقداً؟

قبل الخوض في أسس ومبادئ نظرية كانط الأخلاقية ارتأينا أن نعطي لمحة عن مفهوم الأخلاق بتناولنا تعريفات منتقاة على بسبيل الاستئناس لا الحصر، فلا يسع المجال لذكر كل المفاهيم والتعريفات التي تطرق إليها الفلاسفة عبر العصور.

¹ محمد مهران رشوان، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، دط، 1998 ، ص171.

– تعريف الأخلاق:

– لغة : يعبر عن مصطلح الأخلاق في اللغة الفرنسية Ethique ذات الأصل الإغريقي Ethos و يقابلها في اللغات الأوروبية الأخرى كلمة Morale في اللغة الفرنسية ومصطلح Morals في اللغة الإنجليزية، أما في اللغة الألمانية فيطلق عليها كلمة Moral، و Moral في اللغة الإيطالية ومعناها العادة ، والأخلاق جمع خلق وتستعمل للدلالة على علم معين.¹ و يعرف جميل صليبا الأخلاق في معجمه الفلسفي " الأخلاق جمع خلق وهي العادة والسجية و الطبع والمروءة والدين"²، ويعرف ابن منظور الأخلاق في كتابه لسان العرب بقوله " الخلق هو الطبع والسجية وهو عبارة عن الصورة الباطنية للإنسان ، كما أن الخلق بالقبح عبارة عن الصورة الظاهرية فعندما يقال فلان حسن الخلق والخلق المراد أنه حسن الظاهر والباطن "³ ، كما ورد في معجم الوسيط أن الخلق " هو حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر دون حاجة إلى فكر وروية وجمعها أخلاق .⁴

التعريف الاصطلاحي للأخلاق :

لقد تناول كثير من المفكرين والباحثين مفهوم الأخلاق في الاصطلاح و اختلفت تعريفاتهم لها وتعددت باختلاف العصور ووجهات نظر الباحثين والمهتمين بهذا الشأن ، فقد عرفها البعض على أن الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من دون الحاجة الى فكر وروية ، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت

¹ أسماء حسن أبو عوف، مقدمة في علم الأخلاق، مجلة حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية، د ط ، المجلد 9، العدد 9، القاهرة 2017، ص75.

² جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني، لبنان ، ط 4 1982 ، ص 49.

³ ابن منظور، لسان العرب، ج 1، مادة خلق، دار المعارف، القاهرة، د ط، 2007 ، ص 149.

⁴ إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج1 ، دار الفكر إيران ، ط2، 1972 ، ص 252.

الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي تصدر عنها خلقا سيئا¹.

كما تعرف الأخلاق أيضا على أنها حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر وروية.² ويعرف ابن عربي الأخلاق بقوله " إن الخلق هو حال النفس بها يفعل الإنسان أفعاله بلاروية ولا اختيار³.

من خلال التعريفات السابقة نستنتج أن الأخلاق تتمثل في سلوكات الإنسان وتشمل شقيها الحسن والسيئ ، وتعدد تعريفاتها يعكس تنوع وجهات النظر حولها.

- التعريف الفلسفي للأخلاق

إن اختلاف الفلاسفة في تعريف الأخلاق يعكس تعدد الفهم لديهم واختلاف النظرة إليها، فقد طرح بعض الفلاسفة تعريفات تعتمد على القواعد و المبادئ المطلقة، بينما يرى آخرون أن الأخلاق مسألة نسبية تتأثر بالظروف النفسية والاجتماعية المحيطة بالفرد، وإذا أردنا الإلمام بتعريفات الفلاسفة للأخلاق والقواعد الأخلاقية فسيكون من الصعوبة بما كان التطرق إلى تعريفات كل الفلاسفة لها، ولذلك سنستعرض آراء بعض الفلاسفة في الأخلاق والقيمة الخلقية ؛ فمثلا عند كونفوشيوس كان نسقه الأخلاقي ذا جانبين أحدهما نظري والآخر عملي، "والغاية من نسق كونفوشيوس الأخلاقي هي محاولة إيقاظ الفرد مما يعاني من تدهور أخلاقي مؤكدا على أنه كائن أخلاقي في المقام الأول⁴، أما سقراط فيرى " أن

¹ خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، موسوعة الأخلاق ، دار أهل الأثر ، الكويت ، ط1، 2009، ص 21.

² جلول خدة معمر ، الدراسات الفلسفية الأخلاقية في الفكر المغربي المعاصر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإجتماعية ، جامعة وهران ، وهران، 2011، ص 44.

³ ابن عربي، تهذيب الأخلاق، تحقيق عبد الرحمان يد وي ، حسن محمود، مكتبة عالم الفكر، القاهرة ، ط1، 1990، ص 12.

⁴ هالة أبو الفتوح ، فلسفة الأخلاق والسياسة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ط ، 2000، ص 59.

الإنسان يبحث عن السعادة فإذا عرف أن الفضيلة هي الطريق الوحيد الذي يوصل إلى السعادة فإنه لا يخطئ طريقها، ولا يمكن أن يعمل الإنسان ما يؤدي إلى شقائه وهو عالم بذلك¹، ويرى أفلاطون أن هناك نوعين من الفضيلة فضيلة فطرية وفضيلة موروثة وهذه لا تحتاج إلى تعليم، أما الفضيلة الحقيقية التي تكسب صاحبها فضلا وتقديرا فهي التي تعتمد على معرفة الخير ونيته²، أما أرسطو فهو يرى أن الفضيلة ليست عملا آليا تسخيريا بل هي عمل انبعاثي محبب للقلب، أما أبيقور صاحب مذهب السعادة فيرى أن كل إنسان يجب أن يبحث وراء لذائذه هو وسعادته ويعمل ما يوصله إلى ذلك، والعمل الذي يوصل إلى تلك الغاية أو يقربه منها يكون خيرا³.

وإذا جننا إلى هوبز فهو لا يدعو إلى طاعة القواعد الأخلاقية لذاتها بل لما يترتب على طاعتها من منافع ذاتية، كما يرى أن إتباع الإنسان لقواعد الأخلاق مرهون بمراعاة كافة الناس لها⁴، ويرى ديكارت أن الأخلاق المؤقتة هي فن الحياة السعيدة برغم الشك الذي يبقى يحيط على الأشياء⁵، أما عند لايبنتز " قد يكون كافيا للعلم الأخلاقي البرهان على أن وجود الله وخلود النفس محتملان⁶، بينما يرى شوبنهاور أن " الأخلاق مبحث فلسفي نظري بحت، فهي لا تتسم مطلقا بأي طابع عملي أو تطبيقي مثله في ذلك كمثل المنطق أو ما بعد الطبيعة"⁷، كما يذهب برادلي إلى " أن المهمة الأصلية لعلم الأخلاق هي تطبيق

¹ محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، مرجع سابق، ص 17.

² محمد بدوي، المرجع نفسه، ص 18.

³ أحمد أمين، كتاب الأخلاق، مؤسسة هنداوي، دط، 2011، ص 31.

⁴ توفيق الطويل، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1953 ص 63.

⁵ ايميل برهيه، تاريخ الفلسفة، ترجمة جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ج 4، ط2، 1993، ص 125.

⁶ ايميل برهيه، المرجع نفسه، ص 315.

⁷ زكرياء ابراهيم، المشكلة الخلقية، مرجع سابق، ص 44.

مبادئه على النحو الذي يمكنه من إرشاد الناس في مضمار فن الحياة¹، ويرى ليفي برول أن ميولنا الحسنة أو القبيحة التي نجيء بها إلى هذا العالم عند ولادتنا هي طبيعتنا فكيف نكون مسؤولين عن طبيعة هي ليست من عملنا الشعوري الاختياري²، وإذا جئنا إلى جورج S إدوارد مور فيرى أن الغرض الأساسي للأخلاق هو التأثير على سلوكنا الفعلي³.

1-دوافع كانط لمشروعه الأخلاقي الجديد:

ان مشروع كانط الأخلاقي الذي يعد الواجب كجزء أساسي في فلسفته لم تأت فكرته من الفراغ ولم يبين مبادئه من العدم ، وإنما كانت نتيجة تأمل وتدقيق وبحث للنظريات الأخلاقية التي كانت سائدة في عصره و، انتقاده لها ليخرج لنا بمشروع أخلاقي هز العالم وغير مجرى الحياة الفكرية.

و يمكن القول أن الأصل الذي نبع منه مذهب كانط في الأخلاق كما نبعت منه نظريته في المعرفة هو ثورته ضد الدوجماتية أو المذهب التعسفي الذي يريد أن يبنّي نظرياته على مبادئ أو عناصر غير قابلة للنقد أو التفنيد⁴.

إن إحساس اليونانيين القدماء بفكرة الواجب أو بمعناه كان ضعيفا؛ فالحياة الأخلاقية والحياة الخيرة كانت عندهم شيئا واحدا ، ثم جاءت الرواقية بفكرة جديدة وهي الفكرة التي تعد فيها الفضيلة أو الحياة الخيرة طاعة لقانون طبيعي يحدّد فيه واجب الإنسان ، وتحولت الأخلاق عندهم من مبحث يرتكز على الخير إلى مبحث يدور حول الواجب ، أمّا الفلسفة المسيحية فرأت أنّ قوام الحياة الأخلاقية هي طاعة القانون الذي أتانا من الوحي الإلهي ، فهذا القانون يوجب الطاعة المطلقة له وهو في نظرهم قانون خير لأن القوة التي تسهر

¹ زكرياء ابراهيم ، المرجع نفسه، ص 46.

² محمد بدوي ، الاخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص 11.

³ زكرياء ابراهيم ، المشكلة الخلقية ، مرجع سابق ، ص 46.

⁴ محمد بدوي ، الاخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص 90.

على تنفيذه قوة خيرة ، وترتبط أيضا بهذه الفكرة فكرة أخرى وهي التي تقول بأن أداء الواجب مرتبط بالثواب والعقاب.¹

فالملاحظ إذن أن كل المذاهب التي سبقت كانط أهملت جانبا هاما من جوانب الأخلاق و هو جانب الإلزام أو التكليف، ففي كل المذاهب الأخلاقية القديمة لا تكاد تعثر على لفظ يترجم معنى الإلزام في كل من اللغتين اليونانية واللاتينية ؛لأن فلاسفة اليونان تصوروا الفضيلة دائما و أبدا ضربا من الانسجام أو الطمأنينة ومن ثمة راحوا يقيسون نتائج الأفعال بمعيار تجريبي، والأخلاق كلها أحييت إلى مجرد بحث عن النتائج السارة.²

لقد كان فكر كانط الأخلاقي ثورة على المذاهب الأخلاقية التي كانت سائدة في عصره كمذهب السعادة الذي يرى كانط أنها جزئية متغيرة لا يمكن أن تكون مصدراً أو أساساً لقانون كلي، وكذا النزعة النفعية التي صورت أو رأت أن اعتبار الخير مجرد شيء محسوس فراحوا يقيسون نتائج الأفعال بمعايير تجريبية، فهو اتجاه غرضي نفعي يحيل الأخلاق بأسرها إلى مجرد بحث عن النتائج السارة والآثار النافعة.³

ففي العصر الحديث نشهد اتجاهات أخلاقية أراد أصحابها اعتبار القانون أو الواجب أو الإلزام دعامة الأخلاق، فكان من ذلك أن اهتم الفلاسفة والكثير من الباحثين بدراسة طبيعة التكليف بدلاً من التوقف عند دراسة النتائج السارة أو الغايات الخيرة.⁴

لا جدال أن الفيلسوف الألماني كانط يعد أشهر وأقوى المدافعين عن المذهب الأخلاقي الذي يركز على فكرة الواجب ، بل كثيراً ما يوصف بفيلسوف الواجب .

¹ محمد مهران رشوان ، تطور الفكر الاخلاقي في الفلسفة الغربية ، مرجع سابق، ص153-154.

² زكريا ابراهيم، المشكلة الخلقية ، مرجع سابق، ص 164.

³ محمد مهران رشوان، تطور الفكر الاخلاقي في الفلسفة الغربية، مرجع سابق ، ص 155.

⁴ زكريا ابراهيم، المشكلة الخلقية ، مرجع سابق ، ص 164.

عندما جاء كانط لم يقتنع بكل المذاهب التي سبقتها، ورد المبادئ الأخلاقية إلى العقل العملي الذي يدير حياة الإنسان، وأقر الواجب أمراً مطلقاً يستمد قيمته من ذاته ولا تتوقف أخلاقيته على ما تتجم عنه من نتائج لأداة أو أليمة، نافعة أو ضارة¹.

لقد بدأ كانط أبحاثه في طبيعة المعرفة سنة 1770، وتوجت هذه الأبحاث بـ"نقد العقل الصرف"، الكتاب الخالد والذي استطاع من خلال ما جاء فيه أن يفصل بين التجربة والعقل وبين المادة والشكل، وأن يعترف للعقل وحده بشرعية إضفاء العمومية على معارفنا وما لبث أن طبق هذا الفصل في مجال الأخلاق، وأدى ذلك إلى إعلان نظريته المشهورة وهي أن مبادئنا الأخلاقية يجب ألا تؤسس على التجربة ولا على العاطفة بل على العقل الصرف، لقد رفض كانط إذن مذهب العاطفة أو النظريات² التي تعتمد على العواطف والمشاعر الشخصية كأساس للأخلاق؛ لأن هذه الأخيرة تفتقد الثقة وقد تكون متغيرة ونسبية، فقد كان يخامر شعور بأن العاطفة وحدها لا تكفي كقاعدة للأخلاق ولذا فإنه أضاف في كتابه "نقد العقل العملي" أن الفضيلة الحقيقية لا يمكن أن تقوم إلا على مبادئ principes، وأن هذه المبادئ كلما كانت عامة universels كانت الفضيلة أكثر نبلا وسموا، وهنا نستطيع أن نلمس عنصراً سوف يصبح أساسياً في مذهب الأخلاقي لا يفارقه طول حياته و يتلخص هذا العنصر في الاعتقاد بتفوق المبدأ الأخلاقي الموجه للنشاط الإنساني على جميع القوى والملكات الأخرى عند الإنسان³.

هذا مجمل الطابع الشكلي للأخلاق عند كانط وهو يتصل بفكرة رئيسية في مذهب ونعني بها فكرة تحديد العلاقة الداخلية بين السلوك والعمل، وهذه العلاقة لا يمكن أن توجد

¹ توفيق الطويل، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، مرجع سابق، ص 71.

² محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، مرجع سابق، ص 94.

³ محمد بدوي، المرجع نفسه، ص 92.

إلا إذا كان القانون شكليا صرفا ؛ أي مستقلا استقلالاً تاما عن التجربة والمبادئ التجريبية¹، فهو يرى أن الأفكار الأساسية في الأخلاق مثلها مثل القوانين الطبيعية بوجه عام ، و المسلمات التي يفترضها كل كائن عاقل إذا أراد أن يصل إلى معرفة من أي نوع إنما نجد أصلها مستقرها في العقل ولا تأتي من التجربة بأي حال من الأحوال.²

لقد أصبح كانط يؤمن بأنه لا قيام للفلسفة الخلقية إلا على العقل وحده ، مادام العقل هو مصدر الإلزام الخُلقي ، وهكذا راح كانط ينسب إلى الأخلاق صنعة الضرورة المطلقة فنأدى بوجود قوانين أولية كلية ضرورية في مضمار السلوك البشري ، وحاول وضع مفهوم جديد هو مفهوم الواجب ، و صار ينادي بأن الأخلاق لا يمكن أن تقوم على أية دعامة تجريبية³، وهكذا ظهرت فلسفة أخلاقية جديدة عند كانط يقودها العقل العملي وتعتمد على تأثره العابر بالفلسفة العقلية، كما تعتمد على تأثره أيضا بالأخلاق الشعورية وتقوم أولا وقبل كل شيء على إيمانه بقداسة الواجب .⁴ لقد قدم نظريته الشهيرة المعروفة بالنظرية الكانطية أو أخلاق الواجب، فسعى بذلك إلى تأسيس قاعدة أخلاقية ثابتة وغير متغيرة تتجاوز النسبية الفردية ، وهذا يعني أن الأخلاق عنده ليست مرتبطة بالنتائج أو العواقب بل بالنية والالتزام بالقانون الأخلاقي الذي يمكن تعميمه.

2- الواجب :

إذا تحدثنا عن الأخلاق عند كانط فإننا نتحدث عن نظرية الواجب بأصولها ودعائمها، وبحوثه الأخلاقية جزء كبير منها يدور حول هذه النقطة، فإذا كان ينادي باستقلال الإرادة

¹ محمد بدوي، المرجع نفسه، ص 92.

² ايمانويل كانط ، نقد العقل المحلي، مرجع سابق، ص 9.

³ كامل محمد محمد عويضة ، ايمانويل كانط ،شيخ الفلسفة في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 21.

⁴ عبد الوهاب جعفر ، فلسفة الأخلاق والقيم، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، د ط ، 2013، ص 170.

فما ذاك إلا أن الواجب لا يؤدي أداء حقا الا ممن توافرت فيهم إرادة قوية و حرية كاملة.¹
 لقد كان مذهب كانط ثورة على المذاهب النفعية التي أضعفت سلطة الأخلاق وأخضعتها لمطالب الحياة المدنية المترفة ، فأراد أن يضع حدا فاصلاً بين فكرة الحياة الحسية وبين الأخلاق ،وقد ذهب إلى أبعد من ذلك حيث جرد معنى الواجب من كل ما قد يعلق به من شؤون التجربة الحسية بل جرّده أيضا من مادته التي تظهر في شكل القواعد المختلفة.²

إن الفعل الذي يصدر عن الواجب لا تتوقف قيمته الأخلاقية على النتائج التي يحققها أو الغايات التي يسعى لبلوغها، وإنما تتوقف قيمته على المبدأ أو القاعدة التي دفعت الفاعل لأداء هذا الفعل ، لهذا يرى كانط أن صدور الفعل بدافع الشعور بالتعاطف أو الرحمة أوالمحبة لا يجعل للفعل قيمة ، فالواجب لا يستند إلى العاطفة والوجدان كما لا يقوم على التجربة بل أساسه في ذلك احترام القانون ،و بهذا يكون الواجب هو أداء الفعل احتراما للقانون ليس إلا.³

وفي هذا يقول كانط «الفعل الذي يتم عن إحساس بالواجب لا يستمد قيمته الأخلاقية من الهدف الذي يرجى بلوغه من ورائه بل من المسلمة التي تقرر القيام به وفقا لها ، فهي إذن لا تتوقف على واقعية موضوع الفعل، بل تعتمد فحسب على مبدأ الإرادة الذي حدث الفعل بمقتضاه بصرف النظر عن كل موضوعات الاشتهااء.⁴

لقد أراد كانط أن يقيم مذهبه الأخلاقي على أساس يختلف تماما عن التجربة ؛لأن التجربة حسبه تسجل ما هو كائن ولا تهتم بالبحث فيما ينبغي أن يكون ، فالمبدأ الأخلاقي

¹ يوسف كرم ابراهيم مذكور ، دورس في الفلسفة ، مرجع سابق ، ص 147.

² محمد بدوي ، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص 79.

³ محمد مهران ، تطور الفكر الأخلاقي ، مرجع سابق ، ص 192.

⁴ ايمانويل كانط ، تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق ، مرجع سابق ، ص 50.

الذي يراه كانط شيئاً واحداً يعده الناس خيراً بلا قيد ولا شرط هو الإرادة الخيرة ، والإرادة هي العمل بمقتضى الواجب ؛ أي الواجب وحده دون اعتبار آخر¹، ومعنى هذا أن الواجب يأمرنا أمراً قاطعاً بأن نعمل دون اعتبار لمصلحتنا وأنانيتنا فهو تكليف بالعقل وأمر حاسم جازم مطلق، والعمل الأخلاقي لا يعتمد على نتائج الفعل أو العواقب بل على الواجب نفسه، إذ لا يكفي في نظر كانط أن يكون الفعل الخلقي مطابقاً في نتائجه لمبدأ الواجب بل يتحتم أن يجيء طبقاً للواجب أي يصدر عن احترام مبدأ الواجب.²

و في هذه النقطة يجب على الإنسان تصحيح النية والتمييز جيداً بين الأفعال " فكم من أفعال تدفع إليها الرغبة في تحقيق منفعة شخصية ومع هذا تتفق في نتائجها مع مقتضيات الواجب ، فقد يخطئ الناس في اعتبار السلوك خيراً بالنظر إلى نتائجه حتى وإن صدر عن ميل وهوى وهذا لا يتماشى مع مبدأ الأخلاقية الأسمى.³ وفي هذا الصدد تقول فريال حسن خليفة " الأخلاق عند كانط تقوم على احترام القانون الأخلاقي التلقائي عند الإنسان، فالبشر قد يقومون بأفعال أخلاقية ليس دافعها هو الواجب أو احترام القانون ، بل هو اعتقادهم بأن تلك الأفعال متوقعة منهم لأنها ميزتهم الخاصة ، وهم بذلك لا يحققون روح القانون الأخلاقي⁴ ، ونداء العقل هو نداء الواجب وأمره هو الذي ينبغي أن يقابل بالطاعة والامتثال، فما أروع الواجب وأعظم تأثيره على السمع والقلب فبواسطته يناجي المرء نفسه وينصح به أخاه وفيه يوجد العلاج الحاسم للكثير من أمراض التوحد والحيرة، فليس فيه

¹ عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية ، مرجع سابق ، ص 73.

² كامل محمد عويضة ، ايمانويل كانط ، شيخ الفلسفة، مرجع سابق ، ص 43.

³ كامل محمد عويضة، المرجع نفسه، ص 43.

⁴ فريال حسن خليفة ، الدين والسلام عند كانط ، مصر العربية للشر و التوزيع القاهرة ، ط1، 2001، ص 71.

أي معنى من معاني الفتنة والخداع وكل ما يرمي إليه هو توجيه النفس إلى الخير دون تهديد أو رهبة أو اضطراب.¹

وفي ذلك يقول كانط « النفوس التي بلغ بها العطف لدرجة أنها تجد متعة في مساعدة الآخرين و إشاعة الفرحة بينهم دون أن يكون سبب ذلك هو غرورها ، فرغم مطابقة أفعالها للواجب إلا أن فعلها لا ينطوي على قيمة أخلاقية حقيقية بل يرافق ميولا أخرى»². وبناء على ما سبق فإن الواجب هو ضرورة الفعل دون دافع حسي أو شعوري، ودون أن يكون صادرا عن تعوّد ان يفقد صاحبه اليقظة ويسلب الواجب ضرورته، والشعور الذي يمكن أن يثيره فنيا الواجب هو شعور الاحترام ؛احترام القانون الذي يعرض علينا طاعته.³ ويتصف الواجب عند كانط بأنه صوري خالص ؛ أي أنه كلي أو قاعدة شاملة ويمكن القول أنه مبدأ أولي صوري بحت يكون مصدره هو العقل العملي، كما أنه قاعدة غير مشروطة وهو الدعامة التي يستند إليها كل حكم أخلاقي فالإنسان فيه يحاول أن يطبع قانونا عاماً صالحا للبشرية جمعاء.⁴ويمكن القول أن مفهوم الواجب وفقا لكانط مفهوم مستقل عن العواقب وعن المصلحة الشخصية ،ويتماشى مع قواعد منطقية عامة تسعى لتحقيق الكونية في الأخلاق كما تسعى إلى تأسيس قواعد أخلاقية صارمة مستقلة تماما عن الميول الشخصية أو النتائج الفردية.

3- الإرادة الحرة كأساس للقانون الأخلاقي :

في فلسفة كانط الأخلاقية تعتبر الإرادة أحد المفاهيم الأساسية، الإرادة الطيبة هي الإرادة التي تعمل وفق مبدأ الواجب "فهي إذن تحتل مكاناً ملحوظاً في مذهبه، إنها عنده

¹ يوسف كرم ، إبراهيم مدكور ، دروس في الفلسفة، مرجع سابق، ص 470.

² ايمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، مرجع سابق ، ص 47.

³ عبد الوهاب جعفر ، فلسفة الاخلاق والقيم، مرجع سابق، ص 174.

⁴ محمد مهران رشوان ، تطورالفكر الأخلاقي، مرجع سابق ، ص 163.

العمل بمقتضى الواجب دون النظر إلى نتائجه"¹، وفي ذلك يقول كانط: "من بين كل الأمور التي يمكن تصورهما في هذا العالم لا يوجد شيء يمكن عده خيراً على وجه الإطلاق ودون قيد إلا شيئاً واحداً هو الإرادة الخيرة"².

إن مقياس الأخلاق في نظر كانط هو ذاتية الإرادة؛ ومعنى هذا المصطلح هو قدرة الإرادة على أن تكون قانوناً لنفسها، وإذا أردنا توضيح هذا المعنى فيمكن مقارنته بالمعنى المضاد وهو خضوع الإرادة لغيره؛ أي أن يتصرف الإنسان بسبب باعث خارجي عن إرادته وهذا ما يسميه كانط باللا أخلاقية.³

إن الإرادة الخيرة لا تكون خيرة لما تحدثه من أثر وتحزره من نجاح ولا بصلاحياتها للوصول إلى هذا الهدف أو ذاك، بل إنها تكون كذلك عن طريق فعل الإرادة وحده، أعني أنها خيرة في ذاتها وأنها إذا نظرنا إليها فلا بد لنا بلا وجه للمقارنة أن نقدرها تقديراً يرتفع بها درجات عن كل ما من شأنه أن يتحقق بواسطتها لمصلحة ميل من الميول أي كان.⁴

إن الإرادة الطيبة في نظر كانط هي الشيء الوحيد الذي يمكن حسابه خيراً بصورة مطلقة، الشيء الوحيد الذي يمتلك قيمة كامنة على نحو غير مشروط وهي بذلك الخير الأسمى وبالتالي فإن امتلاكها هو الغرض النهائي للحياة الخلقية.⁵

¹ محمد محمد كامل عويضة، إيمانويل كانط شيخ الفلسفة في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 41.

² إيمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، مرجع سابق، ص 37.

³ محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، مرجع سابق، ص 96-97.

⁴ إيمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، مرجع سابق، ص 38.

⁵ عادل ضاهر، نقد الفلسفة الغربية للأخلاق والعقل، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1990، ص

وإذا انعدمت الإرادة الطيبة من أي عمل خلقي فإنه يصبح عندئذ عديم الصبغة الأخلاقية فالإرادة الخيرة حتى وإن لم تنجح في تحقيق هدفها تظل تسطع كجوهره ثمينة لها قيمتها في ذاتها.¹

إن الخير الوحيد في هذا العالم هو إرادة الخير، وهي الإرادة التي تتبع القانون الأخلاقي بغض النظر عما يمكن أن تقدمه لنا من كسب أو خسارة، إذ ليست الأخلاق مبدأ يعلمنا كيف نجعل أنفسنا سعداء ولكن كيف نجعل أنفسنا جديرين بالسعادة.²

يرى كانط أن العقل هو الذي يوجه الإرادة الطيبة نحو التصرف وفقا لمبادئ أخلاقية عالمية، و العقل هو الذي يقود الإرادة الطيبة فإذا ما حاول قيادة الإرادة في سبيل منفعة مادية فإنه لا ينجح في ذلك ، فالعقل في الإنسان إنما وُجد من أجل غاية وغايته هي تحقيق الإرادة الطيبة في ذاتها مستقلة عن الميول والرغبات ، فالإرادة إذن ليست شيئاً آخر سوى العقل ذاته في اتخاذ قرارات عملية.³

يفرق كانط بين نوعين من الإرادة الإرادة الخيرة وهي إرادة محبة تهدف إلى البناء والانسجام، وإرادة شريرة وهي الإرادة التي تهدف إلى الهدم والفوضى ،كما أن الإرادة الخيرة ترمي إلى ضبط الميول الفردية وتنظيم الدوافع والنزعات بينما تفقد الأفعال التي تصدر عن الإرادة الشريرة كل ما لها من قيمة أخلاقية لما تتميز به من ذاتية وأنانية.⁴

¹ زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية، مرجع سابق، ص 165.

² ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، من افلاطون الى جون ديوي، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط 6 ، 1988 ، ص 351.

³ عبد الوهاب جعفر، فلسفة الاخلاق والقيم، مرجع سابق، ص 172.

⁴ محمد مهران رشوان ، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية ، مرجع سابق ، ص 158.

3- القانون الأخلاقي عند كانط :

القانون الأخلاقي عند كانط هو مبدأ مركزي في فلسفته " فكل ما في الطبيعة من أشياء تعمل وفقا لقوانين فهي إذن خاضعة لها، أما الإنسان فيتمتع بملكة القدرة على التصرف وفقا لمبادئ العقل فهو الكائن الناطق الذي يتعلل القانون ، فالقانون الأخلاقي هنا لا يفرض نفسه على الإرادة بل يتخذ طابع الإلزام ويظهر على شكل نظام أخلاقي ¹.

فبموجب هذا القانون الأخلاقي المفطور في نفوسنا يكون العمل فاضلا وصالحا لأن هذا العمل قد أدى تلبية لشعور داخلي بالواجب ، لا بسبب ما ينتج عن هذا العمل من نتائج حسنة أو طيبة، هذا القانون الأخلاقي لم يأت من تجاربنا الخاصة الشخصية بل هو فطري طبيعي فينا ² ، فهذا القانون يتطلب منا شيئا واحدا أن نحترم ذاتية الأفراد الآخرين ونتذكر دائما أن لهم كرامة يحرصون عليها كما نحرص نحن على كرامتنا ³.

إن السلطة التي تهيأت للقانون الأخلاقي تعود إلى العقل ، فالقانون الأخلاقي هنا لا يعبر إلا عن استقلال العقل العملي المحض وبهذا سيصبح القانون أمرا مطلقا وقلنا " إن الإنسان قانون نفسه يتضمن القول باستقلال الإرادة " ⁴.

إن احترام القانون الخلقي كما يرى كانط يمثل جانبا من جوانب الاستعداد الأصلي للخير في الطبيعة الإنسانية ، وهو ما يسميه كانط استعداد الشخصية وهو القدرة على احترام القانون الأخلاقي كما هو في ذاته ونحن نلمس هذه القدرة في شعور أخلاقي في داخلنا يدفع الإرادة الحرة الى عمل الخير ⁵ ، فهو إذن قانون داخلي ، قانون الإرادة الذاتية نابع من

¹ زكريا إبراهيم ، المشكلة الخلقية، مرجع سابق، ص 169

² ول ديورانت ، قصة الفلسفة، مرجع سابق، ص 350

³ محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، مرجع سابق ، ص 97

⁴ كامل محمد محمد عويضة ، ايمانويل كانط، شيخ الفلسفة في العصر الحديث ، مرجع سابق ، ص 32

⁵ فريال حسن خليفة، الدين والسلام عند كانط ، مرجع سابق ، ص 68

العقل العملي قد يصادف عقبات في نفوسنا وذلك بسبب طبيعتنا الحسية الظاهرية التي لا يمكن أن تكون عقلا خالصا أبدا، ويطلق عليه كانط اسم الأمر المطلق أو الأمر الحتمي.¹ وتلخيصا لما سبق عرضه فإن كانط يعتبر أن القوانين الأخلاقية قوانين مطلقة إلزامية يجب على الإنسان إتباعها بتوجيه من إرادته الحرة دون أي دافع حسي أو شعوري وهذا القانون يتميز بالشمولية والكلية .

4-الأوامر الشرطية والأوامر المطلقة :

إن القانون الأخلاقي هو وصية أو أمر أو وصية في صيغة أمر، وهو أسمى ما يمكن تصوره في أي طبيعة عاقلة ،والأمر إما أن يكون مشروطا وإما أن يكون مقيدا بشرط ، فالحالة الأولى ليست هي المطلوبة في الأخلاق لأن الفعل الأخلاقي لا يمكن أن يكون وسيلة للحصول على غرض معين، أما الحالة الثانية فهي الأمر المطلق.²

يرى كانط أن النوع الأول من الأوامر ؛ أي الأوامر الشرطية المقيدة يخضع للقاعدة القائلة «من أراد الغاية قد أراد الوسيلة أيضا »، ومعنى هذا أن الأوامر الشرطية تدفعنا إلى إتباع الوسائل اللازمة للوصول إلى غايتنا المنشودة، ومثال ذلك أن أقول«إذا أردت أن تحيا سعيدا فكن صالحا» ، أما النوع الثاني من الأوامر وهي الأوامر القطعية المطلقة فهذا النوع من الأوامر غير مقيد بشرط ؛ لأننا نلتزم بها لذاتها بغض النظر عن نتائجها أو غاياتها ، ومثال ذلك كأن نقول مثلا : كن خيرا أو قل الصدق دائما³ ، ففعل الخير هنا أو تحري الصدق لا نهدف من وراء القيام به إلى غرض أو نتيجة بل هو تصرف منزّه عن كل الأغراض لا نلتزم فيه إلا بأصول الخير و احترام الصدق ، ولابد من الطاعة هنا التي هي

¹ محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، مرجع سابق ، ص 71

² عبد الوهاب جعفر، فلسفة الأخلاق والقيم، مرجع سابق، ص176

³ زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية ، مرجع سابق، ص 173

طاعة للقانون واحترام وتوقير له¹، فالأوامر الشرطية إذن تعتمد على تحقيق غاية معينة أي أنها تتطلب تنفيذ فعل معين لنصل إلى نتيجة محددة، معنى ذلك أنها تعتمد على شرط مسبق، أما الأوامر المطلقة فهي أوامر أخلاقية غير مشروطة؛ أي أنها تعبر عن واجب مستقل عن أي شروط أو غايات وهذه هي الأوامر التي أراد لها كانط أن تصبح قاعدة نلتزم بها بغض النظر عن رغباتنا وميولنا.

المبحث الثالث: قواعد الأخلاق الكانطية وأهدافها.

1- قواعد الأخلاق الكونية :

تقوم الأخلاق عند كانط على مبدأ الواجب وتتمحور حول فكرة أن الأفعال الأخلاقية يجب أن تكون مبنية على قواعد يمكن للعمل الأخلاقي بمقتضاها أن يتصف بطابع الشمولية والكونية، وسبيلنا الآن إلى الإشارة إلى الصيغ الرئيسية للقانون الأخلاقي.

● **قاعدة التعميم:** يفرض علينا الأمر المطلق القيام بالفعل وفقا لقانون عام يصلح للإنسان بما هو إنسان في كل زمان ومكان، ولهذا يصيغ كانط القاعدة الأخلاقية الأولى وهي قاعدة التعميم على النحو التالي² وفي هذا يقول كانط: «افعل الفعل بحيث يمكن لمسلمة سلوكك أن تصبح مبدأ تشريع عام»³، أو بعبارة أدق بحيث تريد لها أن تصبح قانونا عاما لجميع الناس فهو إذن خطاب موجه للإنسان بما هو إنسان وهولا ينطوي على غاية يود تحقيقها، فالإنسان الفاضل لا يتصرف مسبقا بهوى ولا تدفعه المصلحة الذاتية بل إن مرد خيرته عائد إلى أن سلوكه خاضع لمبدأ موضوعي يتسم بالصحة بالنسبة له ولغيره من الناس

¹ محمد مهران رشوان، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص 165

² محمد مهران رشوان، تطور الفكر الأخلاقي، مرجع سابق، ص 167

³ ايمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، مرجع سابق، ص 11

وهذا هو جوهر الأخلاقية¹، هذه القاعدة الأساسية التي اعتبرها كانط مبدءا لسائر القواعد الأخرى وهي تعني أن المحك الأوحد للسلوك الخلقى هو إمكان تعميمه من غير تناقض، فإذا كان في وسعي أن أجعل من القاعدة التي استندت إليها في فعلى قانونا عاما حيث أنه لا يتعارض مع الطبيعة كان فعلى مطابقا للواجب.²

وقد ذكر كانط أمثلة لتطبيق الصيغة الأولى "أنا يجب ألا نكذب لأننا إذا جعلنا من مبدء الكذب مبدءا عاما فإن الناس سيفقدون ثقتهم ببعض³، أما إذا أدى تعميمي لقاعدة هذا الفعل إلى ضرب من التناقض أو التعارض مع الطبيعة كان فعلا مخالفا ومنافيا للواقع، فليس في وسعنا تعميم أفعال الخيانة والانتحار فهي إذن أفعال غير أخلاقية.⁴

كما يضيف كانط مثالا آخر للمثال السابق ليتضح مفهوم القاعدة أكثر، وهو مثال يضربه كانط عن شخص يؤس من حياته بسبب ما كان يعانيه من مشاكل وأزمات وهو يفكر في الانتحار وترك الحياة حبا لنفسه ولراحته. فهل يمكن أن يكون هذا الفعل فعلا خلقيا فاضلا، فلا يمكن أن تصبح هذه القاعدة قانونا عاما لأنها متناقضة مع ذاتها⁵، كما أشار كانط إلى أمثلة عديدة لبيان صحة هذه القاعدة كفعل خيانة العهد، وفعل الانصراف إلى اللذة، وفعل الامتناع عن مساعدة الغير، لكي يبين لنا من خلال هذه الأمثلة أنه ليس في الإمكان تعميم المبادئ التي تستند إليها هذه الأفعال دون أن يقع أصحابها في التناقض.

¹ كامل محمد محمد عويضة، إيمانويل كانط شيخ الفلسفة في العصر الحديث، ص 50

² زكريا، إبراهيم، المشكلة الخلقية، مرجع سابق، ص 175

³ محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، مرجع سابق، ص 98

⁴ محمد مهران رشوان، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص 167

⁵ عبد الوهاب جعفر، فلسفة الأخلاق والقيم، مرجع سابق، ص 76

يذكرنا كانط بأننا عندما نخالف واجبا فنحن في قرارات أنفسنا نرفض أن يصبح سلوكنا قاعدة أخلاقية عامة لأن ما قمنا به هو مجرد استثناء للقانون الأخلاقي العام، ومعنى هذا أننا نعترف بقيمة الأمر الأخلاقي المطلق حتى حين نعد إلى مخالفته بإغراء من ميولنا و أهوائنا.¹

فهذه القاعدة تقتضى إذن بأن يكون المبدأ الأخلاقي الذي يتصرف الإنسان بموجبه واحداً في كل زمان ومكان، وبهذا لا يستثنى الإنسان نفسه من القاعدة الأخلاقية وليس من حقه أن يبيح لنفسه ما يحرمه على غيره، ولو أن كل إنسان راعى مصلحته الشخصية و استثنى نفسه من هذه المبادئ لاستحال وجود المجتمعات المنظمة.²

هكذا صاغ كانط القاعدة الأولى من قواعد قانونه الأخلاقي التي سعى من خلالها إلى تعميم الأفعال الأخلاقية لتصبح قانونا كونيا يخضع بمقتضاه جميع الأفراد إلى نفس المبادئ، فالأخلاق عنده تتماشى مع معايير أخلاقية عالمية.

● **قاعدة الغائية:** تتمثل قاعدة الغائية في مبدأ أساسي وهو أن البشر يجب أن يعاملوا كغاية في حد ذاتهم و ليس كوسائل لتحقيق أهداف أخرى، أو بعبارة أخرى يجب عليها أن تعامل الآخرين بما يتماشى مع احترامهم ككائنات عاقلة وليس كأدوات لتحقيق مصالحنا، لأن الغايات الشخصية هي قوام الأوامر المشروطة، أما هذه الغايات فهي غايات إنسانية عامة يتوخاها الإنسان بما هو إنسان، فمن الخطأ أن يستعمل الإنسان إنسانا آخر كوسيلة لبلوغ غاية.³

¹ المرجع نفسه، ص 176

² كامل محمد محمد عويضة، إيمانويل كانط شيخ الفلسفة في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 52.

³ محمد مهران رشوان، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص 169.

وقد صاغ كانط هذه القاعدة في قوله: « افعل الفعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي شخص كل إنسان سواك باعتبارها دائما وفي الوقت نفسه غاية في ذاتها ،ولا تعاملها أبدا كما لو كانت مجرد وسيلة .»¹

إذا كانت الإرادة الخيرة عند كانط هي الشيء الوحيد الخير في ذاته فلا يمكن أن نجعلها أداة لتحقيق منافع أو مآرب خاصة ، فالإنسان يختلف عن بقية الكائنات لأنه يحمل غايته في ذاته ،وغايته هي العمل وفق ما يقتضيه العقل² ، وهذه القاعدة تدلنا على أن الأخلاق الكانطية ليست مجرد أخلاق صورية بحتة لا تحمل أي مضمون ولا تشتمل على أية مادة بل هذه الأخلاق أرادت أن تجعل من الشخص الإنساني غاية في ذاته وجعلت منه الموضوع الأوحد للواجب.³

ويمكننا هنا أن نطرح سؤالاً : كيف استطيع أن أعامل الآخرين كما لو كانوا غاية دون أن أجعل من نفسي وسيلة ؟

يجيب كانط عن هذا السؤال بأن هذا ممكن إذا اتحدت الإرادات جميعا وكونت ما أسماه بسلطان الغايات، وبهذا يصبح معنى الأخلاق بالنسبة إلى كل واحد منا هو أن يسمو بضميره ويتحرر من نطاق الفردية المغلق إلى نطاق العمومية الواسع الرحب⁴ ، ويعود كانط في هذه القاعدة إلى الأمثلة التي ضربها في القاعدة الأولى فالشخص الذي يحاول الإقدام على الانتحار والذي لا يلتزم بوعوده والذي يحجم عن معاونة الآخرين لا يعامل الإنسانية

¹ إيمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق، مرجع سابق ، ص 11.

² كامل محمد محمد عويضة ، ايمانويل كانط شيخ الفلسفة في العصر الحديث ، مرجع سابق ، ص54

³ زكريا ابراهيم، كانط أو الفلسفة النقدية مكتبة مصر ، ط2 ، القاهرة، دت، ص 144

⁴ محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، مرجع سابق ، ص 99

باعتبارها غاية في ذاتها بل هو في مثل هذه الحالات اتخذ منها وسيلة أو أداة لتحقيق أغراض أخرى.¹

فكانط يرى أن الإنسان يجب أن يكون حريصاً على ألا يتخذ من نفسه ولا من نفوس الآخرين وسائل لتحقيق مآربه، فإذا كانت العلاقة التي يقوم عليها القانون الطبيعي هي علاقة علمية أو سببية فالعلاقة التي يقوم عليها القانون الأخلاقي هي الغاية. ففعلنا الأخلاقي يفهم منه أننا نحترم القانون كما يفهم منه أن القانون هو غاية الفعل « افعل بحيث يصبح احترام القانون فعلك »²، وهكذا وصل كانط إلى توجيه الأمر الخلفي إلى غاية موضوعية وهي من وضع العقل وحده ولهذا نستطيع فرضها على كل كائن ناطق وبهذا كانت الإنسانية غاية الواجب بالذات.³

والذي يمكن تسجيله هنا هو أن كانط يؤكد على احترام كرامة الإنسان وحقوقه و معاملته كفرد عاقل وقادر على اتخاذ القرارات، وبالتالي لا يجب أن يُستغل أو يُعامل كوسيلة لتحقيق أغراض الآخرين.

• قاعدة الحرية: استخلص كانط من مفهوم القاعدتين السابقتين قاعدة ثالثة صاغها على النحو التالي: " افعل بحيث تكون إرادتك بمثابة مشرع يسر للناس قانوناً عاماً"⁴، إن الخضوع للقانون الأخلاقي ناتجاً في نظر كانط عن الإرادة العاقلة وهذا يتضمن شرطاً أساسياً وهو شرط الحرية، وهذه القاعدة بمثابة مؤلف يجمع بين القاعدتين السابقتين لأنها تنص على ضرورة خضوع الإنسان للقانون باعتباره المشرع الوحيد له، وحينما يقول كانط أن الإرادة هي المشرعة للقانون فهو يعني أن لديها من الاستقلال الذاتي ما يجعل منها إرادة حرة لا

¹ زكريا إبراهيم ، المشكلة الخلقية ، مرجع سابق ، ص 177

² عبد الوهاب جعفر ، فلسفة الأخلاق والقيم ، مرجع سابق ، ص 179

³ كامل محمد محمد عويضة ، ايمانويل كانط شيخ الفلسفة في العصر الحديث ، مرجع سابق ، ص 55

⁴ محمد مهران رشوان ، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، مرجع سابق ، ص 170

تصدر في كل أفعالها إلا عن طبيعتها العاقلة.¹ وقد علق عبد الوهاب جعفر في كتابه "فلسفة الأخلاق والقيم" على هذه القاعدة أن كانط يتباهى بصيغته الأخلاقية هذه باعتبار أنها تضع فلسفته في مركز ممتاز بين الفلسفات الأخلاقية الأخرى لأنها الفلسفة الوحيدة التي تضمن للإنسان استقلالاً كاملاً.²

إن الصوت الباطني الذي ينادي بالواجب يقوم دليلاً على حرية إرادة الإنسان ، لأنك لا تستطيع أن تتصور فكرة الواجب دون أن تتصور الإنسان حراً فيما يختار من سلوكه ، وهذه الحرية لا نستطيع إقامة الدليل عليها بالعقل النظري وإنما يمكن البرهنة عليها بالشعور بها شعوراً مباشراً ، فالإنسان حر فيما يفعل رغم ما يقيد أفعاله من سببية ظاهرة .³

يؤكد كانط أن الإرادة الحرة خاصة تتميز بها جميع الكائنات العاقلة فالإنسان لا يستطيع أن يقوم بفعل إلا تحت تأثير فكرة الحرية ، فيتصور كانط أن ذلك الكائن يملك عقلاً عملياً لا يتلقى توجيهات أحكامه من الخارج وإنما إرادته هي التي توجهه في إطار من الحرية⁴ ، فالإنسان في أفعاله لا يستجيب إلا لإملاء العقل وحده وبهذا اقتضت الأخلاق الكانطية أن يريد الإنسان القانون الأخلاقي وأن يرغب في الخضوع له بمحض حريته .⁵ وهكذا نرى أن القاعدة الثالثة من قواعد القانون الأخلاقي تتطلب منا أن يعمل كل واحد حيث تكون القاعدة التي يصدر عنها سلوكه معبرة عن استقلال إرادته⁶ ، وبهذا تصور كانط المجتمع المثالي مجموعة من الأحرار يُعتبر كل واحد منهم غاية في ذاته مستقيلين بإرادتهم

¹ زكريا إبراهيم ، المشكلة الخلقية ، مرجع سابق ، ص 176

² عبد الوهاب ، جعفر ، فلسفة الأخلاق والقيم ، مرجع سابق ، ص 181

³ زكي نجيب ، قصة الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، ص 300

⁴ فريال حسن خليفة ، الدين و السلام عند كانط ، مرجع سابق ، ص 63

⁵ كامل محمد محمد عويضة ، إيمانويل كانط شيخ الفلسفة في العصر الحديث ، مرجع سابق ، ص 55

⁶ زكريا إبراهيم ، المشكلة الخلقية ، مرجع سابق ، ص 178

حتى وإن خضعوا جميعا لقواعد القانون الأخلاقي ،وبتأكيد كانط على حرية الفرد واستقلال إرادته فهو بذلك يرفع من شأنه ويلحق به كل صفات التقدير والاحترام.¹

وإجمالا يمكن القول أن الحرية ليست مجرد حق فردي بل شرط أساسي لتحقيق القوانين الأخلاقية ،ولذا فإن احترام حرية الفرد ضمن حدود احترام حرية الآخرين وهو ما يضمن تحقيق المجتمع العادل وفقا لمبادئ كانط الأخلاقية.

2-أهداف الأخلاق الكونية

إن الأخلاق التي يعول عليها كانط والتي سيجعل منها أساسا لقانون كوني عالمي تقوم على الواجب الخالي من المنفعة البعيد كل البعد عن العاطفة والوجدان ،والذي يسمح للإرادة الطيبة أو النية الصافية بالظهور في كامل نقائها ، هذا الواجب يجب أن يستند إلى قواعد عقلية صارمة واجبة الاحترام والتقدير .

• الهدف الإنساني:

إن القانون الأخلاقي الذي تصوره كانط لا يرمي إلى أغراض شخصية أو منافع مادية تعود بالفائدة على الأفراد بل هو قانون إنساني جعل من الإنسان غاية بحد ذاته لا وسيلة لتحقيق مآرب أخرى، فهو يسعى لتهديب الأخلاق الإنسانية عامة وفي هذا الصدد يرى كانط أن الإنسان وكل كائن ناطق على العموم يوجد بما هو غاية في ذاته لا لما هو مجرد وسيلة تستطيع أن تتحكم فيها هذه الإرادة أو تلك على هواها ،فإنه في أفعاله جميعا سواء منها ما يتعلق به هو نفسه أو ما يتعلق بغيره من الكائنات الناطقة يجب أن يُنظر إليه دائما على أنه غاية².

¹ كامل محمد محمد عويضة ، ايمانويل كانط ،شيخ الفلسفة في العصر الحديث، مرجع سابق ، ص57

² عثمان أمين ، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1989 ، ص 228

لقد اهتم الفيلسوف الألماني بالجانب الإنساني في نظريته الأخلاقية وقد حاول في كتابه "الدين في حدود العقل وحده"، أن يصبغ الدين بصبغة الأخلاق وأن يلقي منه كل الطقوس والشعائر، بعبارة أخرى عمل كانط على إفراغ الأديان من مضمونها التاريخي ليملأه بمضمون عقلاني متعال عن الزمان والمكان ، حيث كان الهدف الأكبر له هو البحث عن مبادئ عامة توحد المقاييس الأخلاقية بحيث تجد البشرية دربها الآمن للتعايش والسلم ، فعندما حلل كانط الفعل الأخلاقي توصل إلى أنه لا يمكن أن نرجعه إلى العاطفة والوجدان والانتماء التاريخي، فكل هذه الأسس لا تحل المسألة الأخلاقية لأنها متضاربة وتؤدي إلى التقاتل والحروب.¹ لقد حاول كانط تعزيز احترام الإنسان واعتباره غاية في حد ذاته ، إذ قام برفض الانجازات والرغبات التي قد تتسبب في التحكم بسلوك الناس تجاه بعضهم البعض، وبالتالي اعتب أن الكائنات التي لا يعتمد وجودها على إرادتها ولكنها تستند إلى الطبيعة فإن قيمتها نسبية فقط في حالة خلوها من العقل، حيث تعتبر وسائل فقط و من هنا يأتي تسميتها بأشياء، بالمقابل تسمى الكائنات الناطقة أشخاصاً لأن طبيعتها ومقامها الفطري يجعلها غايات في حد ذاتها.²

لقد حاول كانط إطفاء الصبغة الإنسانية على القواعد الأخلاقية وصياغتها على شاكلة أمر أخلاقي « افعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي شخص كل إنسان سواك بوصفها دائماً في الوقت نفسه غاية في ذاتها ولا تعاملها أبداً كما لو كانت مجرد وسيلة ». ³

بمفهوم آخر اذا كان المرء يريد أن يصدر عنه فعل أخلاقي فهو مطالب بأن يعامل ذاته وذات الآخرين كغاية لا كوسيلة ، فإذا كانت الأشياء تكمن قيمتها في نفعيتها واستخدامها

¹ كامل محمد محمد عويضة عمانويل كانط شيخ الفلسفة في العصر الحديث ، مرجع سابق ، ص 56

² عثمان أمين ، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، مرجع سابق ، ص 228

³ ايمانويل كانط، أسس ميتافيزيقا الاخلاق، مصدر سابق، ص 109

لأغراض و مصالح معينة بالإضافة إلى أنها تُقيّم بسعر، فالإنسان في نظر كانط ليس بالشيء فهو لا يمكن استغلاله لمصالح خاصة لأن الإنسانية تطبعه بطابعها الخاص، ومن أهم ما يميزه الكرامة العزة وهي صفات تجعله لا يقبل ولا يرضى لنفسه الاستغلال والاستخدام.

الأمر المطلق لا يتعلق بغايات شخصية كما عرفنا لأن الغايات أساس للأوامر المشروطة ولكن يتعلق بغايات موضوعية يتوخاها الإنسان بوصفه إنساناً، هذه هي مقومات الأمر المطلق فهي غايات في ذاتها وليس بالقياس إلى أفراد بعينهم، ولا تتوافر هذه الصفات إلا في الموجودات العاقلة لأنهم وحدهم يمكن أن تكون قيمتهم مطلقة غير مشروطة، فمن الخطأ أن يُستخدم الإنسان كوسيلة أو أداة لتحقيق غاية وبغير هذه الغايات المطلقة لا يكون ثمة خير مطلق بل يمتنع قيام مبدأ أسمى للأخلاقية.¹

• الهدف التحرري الاستقلالي:

تعد الحرية إحدى أسس فلسفة كانط الأخلاقية وهي شرط لوجودها، فحسب رأيه لا يمكن أن يؤدي الإنسان فعلاً أخلاقياً إلا وصاحب ذلك حرية الاختيار، لقد جعل كانط الحرية هي المرتكز وذلك أن العمل الإنساني إذا كان حراً فإنه سيكون في مستوى اللامشروط وبالتالي في المستوى الكوني الذي يلتبس في كل مرة من حيث معاملة الإنسان كإنسان أي كذات لها كرامة.²

إن الحرية هي الشرط الأساسي لوجود الأخلاق وتحقيقها هذا يعني أن الأخلاق تتطلب وجود حرية حقيقية تُمكن الفرد من اتخاذ القرارات الأخلاقية الصائبة، لذا يعتبر كانط الحرية

¹ كامل محمد محمد عويضة، إيمانويل كانط، مصدر سابق، ص 55

² سمير بلكفي، التفكير مع كانط ضد كانط، دار الأمان، ط 1، الجزائر، 2014، ص 134

أولوية على العقل ؛أي أن الفرد يجب أن يكون قادرا على تمييز الحرية في ذاته وتعرفها وبدونها لن يكون للفعل الأخلاقي أي معنى.¹

إذا كان كانط يؤكد على أنّ الإرادة هي أساس الفعل الأخلاقي ومرجعه ،وأن هذه الإرادة خاضعة للقانون الأخلاقي وهي تقرر بضرورة الالتزام به باعتباره المُسن الوحيد لها، فإن ذلك لا ينفي عنها صفة الحرية والاستقلالية التي تتمتع بهما هذه الإرادة، فهذه الإرادة هي غاية في حد ذاتها وليست مجرد وسيلة ،وأن الفعل الخلقي أساس منبعه السلطة الداخلية العميقة التي ترى أن الإرادة هي جوهر التشريع الخير فهي تعمل على أن تكون مستقلة لتتمام حريتها²

فالإنسان في نظر كانط إذا اكتفى بالخضوع للقانون دون أن يكون هو واضعه تحول إلى أداة لا غاية ، إن القانون من وضع العقل ومن ثمة كان موضوعيا يعمل بمقتضاه كل عاقل ،ومن هنا قيل إنّ القانون الأخلاقي ذاتي من حيث أن الذي يخضع له هو مشرعه ومن حيث أنه واحد لجميع العقلاء أولئك الذين يؤلفون ملكة الغايات، فكل منهم غاية في ذاته .³

إن الحرية تظهر في قدرة الإنسان على القيام بفعل معين أو الامتناع عنه وهذه الحرية تسمح للفرد بممارسة أو تطبيق حرية الاختيار بين الأفعال المختلفة، فمن خلالها يمكن للفرد أن يتحكم في قراراته وتصرفاته ،وفي هذا الصدد يقول كانط في كتابه " نقد العقل العملي " :«إذا أراد الإنسان أن يغزو الحرية لكائن يتحدى وجوده الزمان فلا يمكن أن

¹ جمال محمد ،ايمانويل كانط ، أنطولوجيا الوجود ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت 2009 ، ص 423

² مصطفى عبده ، فلسفة الأخلاق ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط2، 1999، ص 68.

³ الشيخ كامل محمد محمد عويضة ، ايمانويل كانط ، مصدر سابق، ص 56

نستثنيه من قانون الضرورة الطبيعية بالنسبة لجميع الحوادث في وجوده ومن ثمة أيضا بالنسبة لأفعاله ، وما لم نستطع أن نثبت للإنسان حرية سيكون مثل الدمية وسيكون آلة».¹

وبتحليلنا لهذا القول نستنتج أنّ كانط يرى أن الحرية أساس كل عمل إنساني حتى يتمكن من صياغة قانونه الأخلاقي ، إذ يعتبر الحرية أساسية لتحرير العقل وتجاوز القيود الذاتية ، وهذه الحرية التي ينادي بها لا تخرج عن إطار النظم والقوانين وهي تسمح وتمكن الإنسان من اتخاذ القرارات الأخلاقية الصائبة، علاوة على ذلك يرى كانط أن العقل هو القدرة التي تميز الإنسان عن بقية المخلوقات، وهو القدرة التي تسمح له بالتفكير والاستدلال واتخاذ القرارات الأخلاقية الحرة، وهذا اعتمادا على العقل والتفكير الذاتي حتى يتحقق للإنسان النمو الأخلاقي والتقدم المشروع في ممارسة الحرية بطريقة موزونة ومتزنة .

فالإنسان في نظر كانط يتصرف وفقا لقاعدة تصلح أن تكون قاعدة لسلوك الآخرين إذا ما وضعوا في نفس الظروف ،فما يقوم به هو إملاء من الإرادة الحرة التي يحكمها العقل وحده وبهذا فهو يخضع للقانون الأخلاقي بمحض إرادته، وفي هذا يقول كانط: " افعل بحيث تكون إرادتك بمثابة مشرع يسن للناس قانونا عاما".²

فمصدر الالتزام الخلفي هو سلطة داخلية نابعة من الإرادة الحرة وهذه الإرادة تعبر تماما عن استقلال إرادته، لذا يمكن القول أن كانط تصور مجتمعا مثاليا يمثل مجموعة من الأحرار، يعد كل واحد منهم غاية في ذاته حتى وإن خضعوا جميعا لنفس المبادئ.

تعد نظرية كانط الأخلاقية صحيحة من صيحات التحرر ونبذ للعبودية ،ونداء من نداءات الديمقراطية الحقيقية بعيدا عن أشكال الاستغلال وضمانا لكرامة الآخرين، و احترام

¹ إيمانويل كانط، نقد العقل العملي ، مرجع سابق ، ص 49

² إيمانويل كانط، ميتافيزيقا الأخلاق ، مصدر سابق، ص 109، 110 .

استقلالهم وتقديرًا لشخصهم لأنها رفعت من شأن الفرد وأعلت من قيمته ولم يبق محصوراً في دائرة الوسائل والأدوات بل هو الغاية الأسمى.

3- علاقة الأخلاق بالسياسة :

لقد ساد الاعتقاد لدى فئات واسعة من المجتمع لكثرة ما رُوج له عن قصد أو عن جهل ، إن التعاطي مع الشأن السياسي عموماً و الاشتغال به من أي مستوى كان يستوجب بالضرورة التخلي عن القيم الأخلاقية .

وفي تاريخ الفكر الفلسفي مزح كبير مفكري اليونان أفلاطون نظريته السياسية بالأخلاق وجعل أرسطو مبحث الأخلاق جزءاً من مبحث السياسة ، أما مع كانط فقد أصبح الفعل السياسي يجد عمقه في الواجب الأخلاقي فإما من شيء يتصل بالإنسان فكراً وسلوكاً إلا وله مرداً أخلاقياً .

إن محاولة بناء أخلاق بدون سياسة أو الفرضيات القائلة بوجود سياسة دون أخلاق هي محاولات وفرضيات مجردة ناقصة، وعلى العكس تبدو فكرة السياسة التي تصلح مبدأً للأخلاق وهي تجمع العنصرين المتلازمين في شتى سلوك البشر وضمن كلٍ وحيد ، تبدو فكرة تقبل الحياة كل القبول ما دامت تفسح المجال أمام جملة مشخصة متسقة¹

فالأخلاق الكانطية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسياسة فهو لا يتصور مجتمعا ما دون ضوابط أخلاقية تنظم حياته ،فسعى بذلك إلى إعادة تنظيم وبناء مجتمع جديد يوازن بين القواعد الاجتماعية والسياسية من جهة وبين حرية الفرد من جهة أخرى .

تطرق كانط من خلال كتابة "مشروع للسلام الدائم" إلى البعد السياسي للأخلاق

الكونية، فهو يرى أن الجانب السياسي يجب أن يقوم على مبادئ عقلية أولية كباقي فروع

¹ ريمون بولان الاخلاق والسياسة ترجمة عادل العوا ، دار طلاس، دمشق ،، ط1 ، 1988، ص 237

الفلسفة؛ لأن فلسفة أي موضوع تتطلب نسقا من المفاهيم ويجب بالنسبة لهذه الفلسفة أن تكون نسقا من المفاهيم العقلية الخالصة.¹

يعتبر البعد السياسي عند كانط من أبعاد الأخلاق الكونية إذ يرى أن الأخلاق في ذاتها ممارسة بالمعنى الموضوعي بوصفها مجمل القوانين اللامشروطة الآمرة ، والتي يجب أن تفعل وفقا لها ، وأنه لخلف مجال واضح أن يعترف المرء بسلطة مفهوم الواجب.² إن الإرادة الخيرة التي تدير الأفعال الأخلاقية لكل إنسان والتي تعد مرجعاً لأفعاله بإجتماعها مع إرادات كل الكائنات تحقق أهدافا عليا تضمن المنفعة للجميع، وهذا ما أكد عليه كانط في قوله :«إن جميع الكائنات العاقلة محددة في فكرة العقل بغاية جماعية»³ أي أنه يمكن الارتقاء بالخير الأسمى بوصفه خيرا جماعيا ، وبناء على هذا فمن غير الممكن تخيل إقامة نظام سياسي كامل دون أخلاق.

إن الدولة المثلى علامة على الاتفاق الذي أمسى بديها ومباشرا في آخر المطاف بين السياسة والأخلاق، ويكفي في الحد الأقصى أن يتحقق النظام ويسود في تقدم تاريخي حتى تعكس الدولة المثلى عليه النظام وتنهض نهوض دولة كلية تشمل المعمورة».⁴

وفي هذا الصدد نجد أن كانط قد أشار إلى الاتصال الوثيق للأخلاق بالسياسة، أي ما هو نظري بما هو عملي ، فإذا كانت هاتان النظريتان لا يمكن أن تتعايشا معا في أمر واحد فذلك أن هناك نزاع بين السياسة والأخلاق، لكن إذا كان لابد من اجتماع هذين

¹ جمال محمد أحمد سليمان، أنطولوجيا الوجود إيمانويل كانط، مرجع سابق، ص 438

² جمال محمد احمد سلمان، المرجع نفسه، ص 439.

³ إيمانويل كانط ، الدين في حدود العقل ، ترجمة فتحي المسكيني ، جداول النشر ، بيروت ، لبنان ، دط ، 2002 ، ص 167 .

⁴ ريمون يولان ، الأخلاق والسياسة ، مصدر سابق، ص 253.

الأمرين معا فإن فكرة الضد تكون غير معقولة حينئذ ، ولا يبقى مجال لوضع سؤال المعرفة : كيف يمكن وضع حد لهذا النزاع؟¹ وهذا يقود إلى التوفيق بين الاتجاهين في مبدأ واحد.

- آراء كانط في السياسة .

تناول كانط في كتابه "مشروع للسلام الدائم" أفكارا كثيرة عن السلام وقد طرح فيه ستة شروط لنجاح مشروع السلام الدائم وديمومة بقائه وهي :

1-إن معاهدة من معاهدات السلام لا تعد معاهدة إذا انطوت نية عاقيدها على أمر من شأنه إثارة الحرب من جديد.²

وملخص هذا أن كانط يرفض المعاهدات والاتفاقيات التي لا يكون الهدف المنشود من ورائها السلام الحقيقي بل تكون نية أحد المبرمين لهذا العقد العزم على الحرب من جديد

2- إن أي دولة مستقلة صغيرة كانت أو كبيرة لا يجوز أن تملكها دولة أخرى بطريق الميراث أو التبادل أو الهبة.³

وقد هدف كانت من وراء وضعه لهذه الشرط إلى جعل الدول كبني البشر تماما لها حريتها واستقلالها، ولا يحق لأي دولة أخرى تجريدتها من حقوقها.

3-يجب أن تلغى الجيوش الدائمة إلغاء تاما على مر الزمان.⁴

وذلك لأن إعداد الجيوش يعتبره كانط نوعا من التآهب للحرب والاستعداد لها، كما أن إعدادها هو نوع من الهدر لكرامة الأمان وإنسانية الإنسان الذي يجعل منه هنا وسيلة لتحقيق مآرب سياسية.

¹ عبد الرحمن بدوي فلسفة القانون والسياسة، ص 247-248.

² إيمانويل كانط، مشروع للسلام الدائم، ترجمة عثمان أمين مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 1962، ص 25.

³ المصدر نفسه، ص 26

⁴ المصدر نفسه، ص 28

4- يجب أن لا تعقد قروض (ديون) وطنية من أجل منازعات خارجية للدولة.¹

يرى كانط أنه إذا كان الهدف من هذه القروض مصلحة الاقتصاد الوطني كشق الطرق أو البناء أو التعمير وغيرها فهذه القروض من القروض المحمودة، أما إذا كان الهدف من ورائها اعتبارها ذريعة للتدخل في شؤون الدول فهذا ما يرفضه فيلسوف التنوير.

5- لا يجوز لأي دولة أن تتدخل بالقوة في نظام دولة أخرى أو في طريقة الحكم فيها.²

فهذا من شأنه أن يؤدي إلى إشعال فتيل الحرب، فما من شيء يمكن اعتباره ذريعة للتدخل في شؤون دولة أخرى مهما كانت الأسباب ويستثني كانط من ذلك التدخل الذي يكون في حالة واحدة وهو فض النزاع عندما تنقسم الدولة إلى شطرين كل منها تدعي أحقيتها في الحكم.

6- لا يحق لأي دولة في حرب مع دولة أخرى أن تستبجح لنفسها مع تلك الدولة القيام بأعمال عدائية كالإغتيال والتسميم وخرق شروط السلم والتحريض على الخيانة قد يكون من شأنها عند عودة السلم امتناع الثقة المتبادلة بين الدولتين.³

فكل أعمال العنف التي قد ترتكبها الدولة أثناء احتلالها لدولة أخرى قد تُتخذ ذرائع لحرب جديدة حتى بعد عودة السلم.

من خلال هذه الشروط فان فيليوف التنوير كانط أراد أن يؤسس لمذهب سياسي كوني ولهذا نجده قد أحكم الصلة بين الأخلاق وبعدها السياسي والأخلاق وبعدها الإنساني، فهذا الربط يعد إرهابا لما يسمى بالحقوق السياسية للإنسان كما يعد تبصيرا للناس بحقوقهم، فالعالم لا يمثل أمة واحدة بل مجموعة من الأمم، و من الضعف تصور حكومة

¹ المصدر نفسه، ص 39

² المصدر نفسه، ص 31

³ المصدر نفسه، ص 34

واحدة يكون في استطاعتها أن تحكم العالم بأكمله لأن الأمم المختلفة ما زالت في علاقتها مع بعضها البعض وما زالت تخضع في هذه العلاقات إلى سبل الإكراه ومعاهدات السلام ولكي يثق المرء في قدرته على تحقيق غاياته و جب إنشاء هيئة حقيقية ذات أبعاد كونية¹.

وفي الواقع لا يمكن فصل الأخلاق عن السياسة لأن الغاية غاية الممارسة السياسية يجب أن تهدف إلى تجسيد القيم الأخلاقية وترقية المواطن والحفاظ على حقوقه الأساسية دون إهمال تحقيق المصالح المشروعة التي هي أساس بقاء الدولة وازدهارها.

¹ إيمانويل كانط، مشروع للسلام الدائم ، مصدر سابق ، ص 167

خلاصة الفصل الاول :

من خلال عرضنا للمؤثرات التي كان لها الدور البارز في صياغة كانط لنظريته الأخلاقية نستنتج أنه قد أخذ عن كونفوشيوس فكرة الواجب الذي يقوم عنده على القيم الأخلاقية والواجبات الفردية، فتبنى هذا الأخير الفكرة ورأى أن الأفعال الأخلاقية يجب أن تتبع من الإرادة الحرة للإنسان، وعلى الرغم من أنه قد طور نظرية أخلاقية فريدة ومميزة إلا أنه استلهم من الفلاسفة اليونانيين مفاهيم الحكمة والمثل العليا والهدف الأسمى للحياة .

كما أن أفكار نيوتن حول قوانين الحركة والجاذبية ساعدت كانط في تطوير مفاهيمه الخاصة في الفلسفة، بالإضافة إلى تأثره بالتربية المسيحية التي تلقاها في صباه مما أثر في شخصيته وفي صياغة قانونه الأخلاقي الذي يتماشى مع المبادئ الأخلاقية المسيحية.

كما كان لفلسفة هيوم جانبا من التأثير وهذا التأثير جعله يعيد التفكير في فلسفته ويطور نظريته، كما كان لروسو جانبا من التأثير أيضا من خلال أفكاره حول الأخلاق والسياسة فأخذ من هيوم التحدي الذي وضعه أمام النظريات التقليدية للمعرفة، ومن روسو الأسس الأخلاقية والاجتماعية.

الفصل الثاني

الكونية الأخلاقية عند كانط في

الميزان

❖ المبحث الأول: نقد هيجل للأخلاق الكونية الكانطية

❖ المبحث الثاني: نقد شوبنهاور لأخلاق الواجب

❖ المبحث الثالث: النقد النيتشوي للأخلاق الكانطية

❖ المبحث الرابع: نقد هوركهaimer للأخلاق الكانطية

❖ خلاصة الفصل الثاني

تمهيد:

يعتبر كانط آخر فلاسفة عصر التنوير، وأحد أبرز رواد الفلسفة الأخلاقية وأكثرهم تأثيراً في من جاء بعده من فلاسفة عصره والعصر الذي يليه، فقد حاول التقديم لنظرية أخلاقية متكاملة لها أبعادها الإنسانية والتحررية، حتى أنه من الجائز أن نعتبره واضع حجر الأساس لفلسفة القيم، لكن بالرغم من الانتشار الواسع للصيت لفلسفته إلا أن ذلك لم يمنع من أن تتعرض نظريته للعديد من الانتقادات حيث تمحور النقد حول العديد من جوانب هذه النظرية، فطال النقد بذلك كيفية تطبيق مفهوم كانط للواجب الأخلاقي، ومبدأ الإرادة الذاتية على الحياة الأخلاقية العملية، وما إذا كانت نتائجها تؤدي إلى ما يمكن وصفه بأنه أخلاق كونية، والسؤال الذي يمكن أن نطرحه هنا: من هم أهم الفلاسفة الذين تناولوا نظريته الكونية الأخلاقية بالنقد والتحليل، وما هو البديل الذي جاء به كل واحد منهم؟

المبحث الأول: نقد هيجل للأخلاق الكونية الكانطية

يعد هيجل (1770م - 1831 م) من كبار الفلاسفة الألمان الذين كان لهم تأثير بالغ على تفكير المجتمع الألماني إن لم نقل على تاريخ الفكر الإنساني ، فنظرياته الفلسفية شملت الجانب السياسي و الاجتماعي كما لم تغفل الجانب الأخلاقي الذي كانت له فيه آراء وطريقة طرح متميزة عن سابقه كانط هذا الأخير الذي كان لنظريته الأخلاقية أثرا وانتشارا كبيرين ، وكانت بذلك مرجعية فكرية جوهرية لكثير من الفلسفات المعاصرة ، وفلسفته كانت تعد منعطفًا بارزا في حياة وفكر هيجل .

1-تمجيد هيجل لفلسفة كانط :

اعترف هيجل في محاضرات له وفي العديد من المرات بعظمة المنظومة الفكرية لكانط ،فهو كثيرا ما أثنى على شخصيته وأعلى من شأن أطروحاته، فحسب نظره فلسفة كانط لها من الإيجابيات ما يجعلها رائدة بين الفلسفات ، مما جعله يتخذ من مؤلفات كانط منطلقا له وتأثر بها خاصة مؤلف كانط "نقد العقل العملي" ، فقد كتب في رسالة إلى صديقه شيلنج يقول فيها لقد عدت منذ فترة لدراسة فلسفة كانط من جديد وذلك لمعرفة تطبيق نتائجها الأكثر أهمية على عدد من الأفكار العامة والمألوفة والتقدم بهذه الأفكار على ضوء هذه النتائج¹.

إذ يعتبر هيجل واحدا من أكثر القراء فهما لكانط فقد كان تفسيره في تقريره الشامل عن كانط الموسوم بـ "الإيمان و المعرفة" منحازا لقراءة فلسفة كانط من منظور نظامي لم يكن قد

¹ يوسف حامد الشين ، مبادئ فلسفة هيجل منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي، ط 1 ، 1994، ص 143

اكتمل بعد ،وهو الذي صار يعرف بالمثالية المطلقة إنها مثالية هيغل التي تجعل مثالية كانط مرتكزاتها بطرق عدة¹ ، والملاحظ هنا أن هيغل كان متتبعا لمسار فلسفة كانط ومعجبا بها وتركت في نفسه أثرا واضحا وجليا، فهيجل قد أخذ عن كانط القانون الأخلاقي الذي جاء به فاستخدمه في تفسير الحياة المسيحية وارتكز عليه في بناء نظريته الفلسفية الأخلاقية فأضفى عليها صبغة تتوافق و فلسفته².

و بقدر ما كان هيغل معجبا وقارئاً للفلسفة الكانطية إلا أنه لم يذهب إلى ما ذهب إليه كانط في تناوله للموضوعات و في تحليلاته للقضايا، سواء أكان ذلك في نظرية المعرفة أو نظريته الأخلاقية التي ستأخذ منحى آخر بعد صدور كتابه "ميتافيزيقا الأخلاق" .

2- مآخذ هيغل على أخلاق الواجب :

علق أحد فلاسفة الأخلاق المعاصرين على أخلاق الواجب وعلى نظرية كانط في الإرادة الخيرة، فقال إن كانط أراد أن يخلص الأخلاق من كل نزعة تقليدية توحد بين السعادة والخير ،وهذا هو السبب في أنه ذهب إلى ضرورة عدم ربط القيمة الأخلاقية بنتائج الأفعال.

فليس المقصد الحقيقي للفعل في رأي كانط أن يوصلنا إلى إرادة خيرة من حيث أفعالها بل إرادة خيرة في ذاتها.³ فهي تحتل في مذهب كانط مكانا ملحوظا، إنها عنده العمل بمقتضى الواجب لذاته دون النظر إلى نتائجه ،وهو يقول عنها إنها الشيء الوحيد الذي يمكن اعتباره

¹ دينيس شولتنغ ، هيغل ناقدا لكانط ، مجلة الاستغراب ، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العدد 14، السنة 2019 ، ص 56 .

² يوسف حامد الشين ، مبادئ فلسفة هيغل، مرجع سابق ، ص 147

³ زكريا إبراهيم ، كانط أو الفلسفة النقدية، مرجع سابق ، ص 134

خيرا دون قيد ولا شرط بل هي خير مطلق يتخطى الظروف والأحوال ، وهذه الإرادة لا تخضع إلا لقانون الواجب ، هذا القانون الذي يشير احترامنا ويوجب طاعتنا له، وفي هذا تبدو صورية الأمر المطلق لأنّ سلوك الإنسان يستهدف طاعة القانون ذاته باعتباره قانونا ولا يرمي إلى تحقيق رغبة¹ .

¹ كامل محمد عويضة ، عمانويل كانط شيخ الفلسفة في العصر الحديث، مرجع سابق ، ص 41-42

ينطلق هيجل في نقده لأخلاقيات كانط من القانون الأخلاقي الكانطي الذي يصرح أنه قانون فُرض على الإنسان وأنه لا يثق فيه ،ويوضح أن الفرق بينه وبين القوانين الوضعية هو أن هذه الأخيرة تطرح سيدا يكون خارج الإنسان، بينما كانط يضع بداخل قانونه سيدا داخل الإنسان نفسه .¹

ولم ترد أكثر نقاشات هيجل تفصيلا عن الأمر المطلق في كتابة "فلسفة الحق" الذي صدر عام 1821م بل وردت في مقالته "القانون الطبيعي" التي كتبها بعد عشرين عاما تقريبا من كلامه حول مفهوم كانط ،إذ يؤكد هيجل أن العقل العملي ينبذ محتوى القانون ما يعتبره قانونه الأرفع وأوامره المطلقة هو إمكانية تعميم القاعدة التي تمتلك قانونا وتشمل على أمر محدد من دون وقوع تعارض، أو على حد تعبيره يمكن افتراضها على أنها مفهوم شيء عام بهذه الصفة إذ يقول هيجل أن ذلك فقط يمثل تحويل مبدأ التعارض.²

يرى هيجل أن فلسفة كانط الأخلاقية رغم أنها تتنادي بالحرية وتدعو الى استقلالية الإرادة فهي خاضعة للقانون الأخلاقي فلا يمكن القول عنها أنها حرة ومستقلة بل هي صورية وغير مناسبة ومتشدة .

فهيجل هنا ينظر نظرة سلبية لهذه الفلسفة التي لا تحمل الصدق بين ثناياها والتي أقل ما يقال عنها أنها مجردة ،تهمل كل الرغبات وتغفل عن العوارض التي قد تصيب الإنسان ولا تهتم إلا بما هو شكلي.

يعترض هيجل على أخلاق كانط لصورتها ، فكانط يرى أن القانون الأخلاقي لا يكون كونيا و تلتزم به جميع الكائنات إلا إذا كان قانونا صوريا مفرغا من كل محتوى مادي

¹ كرسنوفر وانت أندرجي كليموفسكي، أقدم لك كانط ، مرجع سابق ، ص 146.

² سالي سد جويك ، النقد الهيجلي لكانط ، دحض التجريبية والأمر المطلق، مجلة الاستغراب العدد 9 ، 2017 المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ، بيروت ، ص 197 .

أو تجريبي ،كما يرفض هيجل الأخلاق الكانطية لصرامتها الاقناعية التي لا تولى اهتماما للنتائج والآثار الثانوية التي تنجم عن الفعل الأخلاقي، كما يشير هيجل إلى عجز الإرادة على أن تكون مشرعة للفعل وخاضعة له في نفس الوقت.

إن هيجل لم يترك أطروحات عصره دون أن يتناولها بالنقد والتحليل ولهذا شملت تحليلاته ونقده فلسفة كانط إذ سعى إلى تحليلها وتوضيح معالمها في إطار نقدي فكان أن نقد نظريته في المعرفة ولم تسلم نظريته في الأخلاق من النقد أيضا، ويركز خاصة على نقد الأمر المطلق ويقول بما أن الأمر المطلق في حد ذاته لا مضمون له و يقوم فقط باختبار الأهلية الصورية أو عمومية القواعد لا يمكن وفقا لهيجل أن يكون تشريعه أكثر من اعتباطي.¹

يحتج هيجل على هذه النقطة بالرجوع إلى مثل كانط الافتراضي الشهير الذي ذكره في "نقد العقل المحض" إذ يتطرق إلى القاعدة التالية : لكي أزيد ثروتي يمكنني أن أنكر تسلمي وديعة مالية لا يملك صاحبها دليل وجودها معي ، يجيب هيجل عن إصرار كانط بأن هذه القاعدة تتدمر ذاتيا إذا جُعِلت قانونا عاما، يشير هيجل هنا إلى أن عدم وجود الودائع هو أمر عام كوجودها ولا يكون عاما إلا إذا تم افتراض الأهداف والأسس المادية الأخرى مسبقا ، لأن بيان كانط للأمر المطلق يقوم بتحديد أخلاقية القواعد على أساس شكلها فقط وفي نظر هيجل لا يمكن تحديد عمومية قاعدة ما إلا مع إتاحة الافتراضات الأساسية حول المضمون.

يؤكد هيجل أن كانط لم يقدم لنا أي طريقة لاختبار أخلاقية الافتراضات الأساسية التي لا يمكن من دونها استخدام الأمر المطلق، ولكن بما أن هذه الافتراضات هي التي

¹ سالي سد جويك ، النقد الهيجلي ، مرجع سابق، ص 197 .

تلعب الدور الرئيسي في تحديد أخلاقية قاعدة معينة، فالأمر المطلق هو في حد ذاته زائد عن الحاجة.¹

ويمكن أن تلخص اعتراضات هيجل على فلسفة كانط الأخلاقية في عدة نقاط :

1- الأمر المطلق صوري باعتبار انه قانون عقلي بديهي وهو فارغ وغير قادر على تشريع الأخلاقيات بطريقة منظمة وغير اعتباطية.

2- إذا تم برغم ذلك استعمال قانون الأمر المطلق بوصفه اختبارا لأخلاقية القواعد ينبغي أن تقوم الافتراضات الأساسية أو المضمون بتوجيهه.

3- بما أنه ينبغي إدخال المضمون لكي يؤدي الأمر المطلق عمله التشريعي فإن هذا يجعل علاقته بوظائف محددة عرضية.

لقد قلب كانط العلاقات التقليدية بين الميتافيزيقا والأخلاق رأسا على عقب ، إذ لم تبق الأخلاق عنده تابعة للميتافيزيقا ولم يبق من الممكن استخلاصها منها، لقد خلّص العقل من أي تجربة سوى تجربته الخاصة وغدا العقل عنده أساسا عمليا لتحديد الإرادة ، فالعقل المحض هو بذاته عملي و هو عقل مشرّع بصورة مباشرة ؛ إن كانط يرى أنّ الإنسان مزود بقدر كاف من العقل يتيح له أن ينجز بحرية ويحدد مصيره في العالم، يقول كانط «اطلبوا بالدرجة الأولى سيادة العقل العملي المحض وعدالته تتحقق لكم عندئذ غايتكم من تلقاء ذاتها»².

يؤكد كانط هنا على أن نية العمل الصادرة عن العقل هي مبدأ كاف لكل عمل نقوم به، فالعقل سيوجه الإنسان الوجهة الصحيحة حتما ما دما نحتكم له ، ولكن هيجل يرفض أن يأخذ بعين الاعتبار النية الجلية عند كانط في ميتافيزيقية متواضعة في مجال العقل

¹ سالي سد جويك، المرجع نفسه ، ص 198 .

² ريمون بولان ، الأخلاق والسياسة، مرجع سابق ، ص 32

وعنده أن الأخلاقيات الكانطية لا تخرج كما وصفها عن مستوى المجرد الأجوف وهي صورية فارغة لا تتيح تمييز ضروب السلوك الأخلاقية و اللا أخلاقية.

إن النظرية الكانطية التي لا تستهدف سوى اتفاق المرء مع ذاته اتفاقا فارغا لاتمس الواقع العملي ، و من جهة أخرى يرى هيجل أن هذا الواجب الذي لا يهدف الى غير النية الخالصة للفعل إنما ينزع شطر الذاتية باعتباره مجردا للذات وباعتباره يقينا ذاتيا يقوم على اعتبار أن الذات تكفي ذاتها.

إن ما يجاوز هيجل هنا ومن ثم يرفضه انما هو التحديد النوعي لموضوع نظرية الحرية الذي سلخ عنه كل واقع. فهو يفصل نظرية العمل الحر عن نظرية الواقع العملية¹. فهيجل هنا يؤكد على رفضه التام لما أسماه كانط بالنية والواجب وبأنه القانون الذي يجب أن يخضع له كل تصرف وأن لا تكون أعمالنا الا بمقتضاه فهو ينادي بضرورة الرجوع إلى الواقع الفعلي المشخص للمجال الأخلاقي والسياسي.

إن مفهوم كانط حول علاقة العقل العملي المحض بمضمون النية أو الرغبة الإنسانية هو مجرد تعبير إضافي عن تجريبية د فينة واهية².

إن الدولة الهيجلية هي الواقع الفعلي للفكرة الأخلاقية الموضوعية والإرادة المتجلية أخيرا وهي واضحة لذاتها ، إن الدولة هي الإرادة العامة التي تجسد المعقول بذاته ولذاته وذلك في دستور ، في قوانين هي أفكار كلية وهذه النظرية الكلية هي أيضا ممارسة .

¹ ريمون بولان الاخلاق والسياسة، مرجع سابق ، ص 34 .

² سالي سيد جويك، النقد الهيجلي لكانط ، مقال سابق ، ص 198، ريمون بولان، الأخلاق والسياسة، مرجع سابق، ص

فهيجل هنا يجمع بين الجانب التطبيقي والنظري وجانب الأفكار والواقع وهو موضوع الأخلاق الاجتماعية عنده ليخلص إلى استنتاج نظرية أخلاقية اجتماعية سياسية تطبق في إطار الدولة .

لقد استعمل هيجل مصطلح الحياة الأخلاقية في كتابه "فلسفة الحق" إلى جانب الأخلاق الذاتية والموضوعية أو النظام الأخلاقي، الأخلاق التي يتحدث عنها ليست الأخلاق بالمعنى الشائع والضيق للكلمة بل بمعنى أوسع تضم العادات والتقاليد والأسرة والقانون وقواعد العقل ¹.

ويعرف هيجل الأخلاق كما يلي:

تعبّر الحياة الأخلاقية عن فكرة الحرية وقد أصبحت من ناحية خيرا حيا هو الخير المزود في وعيه لذاته بالمعرفة والإرادة ، والتحقق بفعل هذا الوعي الذاتي ، كما أن الوعي الذاتي قد أصبح من ناحية أخرى يجد في العالم الأخلاقي أساسه المطلق والغاية التي تحرك جهده ، وهكذا نجد الحياة الأخلاقية تعبر عن تصور الحرية على نحو ما تتطور في العالم القائم ، كما أنها تعبر عن طبيعة الوعي الذاتي ².

في فلسفة هيجل ، تأتي فكرة الحرية في سياق واسع يرتبط بالوعي والتطور التاريخي للإنسان، يروي هيجل تطور الحرية كمفهوم ينمو ويتطور مع تطور المجتمع والتاريخ عندما يصل الفرد إلى درجات متقدمة من الوعي والتفكير يمكنه تحقيق حريته الحقيقية ، ومفهوم الحرية عند هيجل لا يقتصر على الحرية السياسية أو القانونية بل يتعداها ليشمل الحرية الأخلاقية والحياة.

¹ محند أعراب قزرون ، المجتمع المدني عند هيجل، رسالة ماجستير 2011 ، جامعة الجزائر، الجزائر، ص 36

² جورج فريديريك هيجل ، أصول فلسفة الحق، ترجمة إمام عبد الفتاح ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 2007، بيروت لبنان ، ص 393.

يعتبر هيجل أن الفرد يحقق حريته الحقيقية عندما يصل إلى التوافق بين إرادته الفردية والإرادة العامة للمجتمع وهذا التوافق ينطوي على مسؤولية أخلاقية كبيرة .

بالنسبة لهيجل ، الحرية الحقيقية تكون مرتبطة بالأخلاق حيث أنها تتطلب من الفرد أن يكون قادراً على التفكير والتقدم نحو الخير العام بما يساهم في تحقيق التطور الروحي والأخلاقي للإنسانية بأسرها .

1- فلسفة الحق وبديل أخلاق كانط :

يقدم هيجل فلسفة الحق بدل أخلاق الواجب وهو أكثر بيان ناضج لهيجل في كتاباته القانونية والأخلاقية والفلسفية والاجتماعية والسياسية ، فقد كان كتابه الذي نشر عام 1820 حجر الزاوية للدولة الحديثة .¹

إن الأخلاق التي نراها والتي يتم التعبير عنها بالاحترام المتبادل للحقوق بين الأفراد ، هي فقط تعبير محدد عن البعد الأوسع والأعمق للأخلاق التي يسميها هيجل الحياة الأخلاقية

وهي نظام من القواعد والأعراف التي تنتمي لهيكل اجتماعي وتشمل مجالات التفاعل والترابط الاجتماعي التي يشترك فيها كل الأفراد ، وإذا كانت الأخلاق تدفع الأفراد بعيداً عن ما هو كائن باتجاه ما ينبغي أن يكون فإن الحياة الأخلاقية هي بالضبط ما هو كائن أي مجموعة المعاني والممارسات التي ترشد الناس في نشاطاتهم اليومية سواء كانوا واعين بها أم غير واعين.²

¹ هيجل ، أصول فلسفة الحق ، مرجع سابق ، ص 8-9.

² حاتم حميد محسن ، هيجل ومستويات الأخلاق ، موقع www.almothagaf.com ، تاريخ الدخول 2024 /07/13

الساعة 13:40 . ص 13 .

إن الحياة الأخلاقية تتجسد في ثلاثة مستويات هامة من الحياة الاجتماعية في شكلها الأكثر بساطة ، إذ تتجسد في العائلة وتجد تعبيرات لها في العواطف الأساسية مثل الحب والإيثار ، وفي المجتمع المدني يتطابق مجال التفاعل الاجتماعي مع الحياة الاقتصادية أو نظام الحاجات، بعبارة أخرى لا يتم تحديد صلاحية تلك الواجبات المحددة. بواسطة الأمر المطلق فقط بل تتعلق هذه الصلاحية بمعايير ومضامين عديدة.¹

من الواضح أن الاختلاف بين المثال والواقع أو التعارض المطلق بين الشكل والمضمون هو الهدف الرئيسي لقيام هيغل بنقد الشكلية الفارغة ، وهو الذي يقف وراء ملاحظاته المتعددة حول فشل الأمر المطلق في أداء وظيفته المتمثلة بتحديد الواجب ، بتعبير آخر يأتي فراغ القانون الأخلاقي نتيجة لقانون العقل العملي الذي يقتضيه نموذج كانط المزدوج المثالية.²

ففي المجتمع المدني يشترك الأفراد باعتبارهم أصحاب حقوق مطلقة مثل ذوي الملكية وأصحاب الحقوق القانونية، و يرتبط فيه الأفراد بالآخرين وفق صيغ عالمية عامة ، وإذا كانت الملكية الخاصة كأساس للحق المطلق والأخلاق كقوة إيجابية في تعزيز الحرية الفردية ، فإن المصالح المادية الفردية مثل السعي وراء المردود الاقتصادي هي ربما تزعزع استقرار المجتمع إذا تركت بلا رقابة ، فإن هذه القوى المزعزعة للاستقرار تميل لتقسيم الإنسانية إلى أغنياء وفقراء.³

نقول إذن ، الحياة الأخلاقية هي فكرة الحرية في حالة التحقق و التعيين الفعلي الواقعي في الأسرة والمجتمع المدني و تكتمل نهائيا في الدولة، هذه هي العناصر الثلاثة

¹ سالي سد جويك ، النقد الهيجلي، مقال سابق، ص 199 .

² المرجع نفسه، ص 199 .

³ حاتم حميد محسن ، هيغل و مستويات الأخلاق ، مقال سابق.

التي تشكل الإطار العام والدائم للحياة الإنسانية، وهو نظام ضروري لا يمكن لأي إنسان أن يعيش خارجه ، إن حق الأفراد في أن يتجهوا ذاتيا نحو الحرية كمصير لهم يتحقق عندما ينتمون إلى النظام الأخلاقي الفعلي ، لأن اقتناعهم بحريتهم يجد حقيقته في مثل هذا النظام الموضوعي ، وهم يمتلكون بالفعل ماهيتهم الخاصة، وكليتهم الداخلية الخاصة في النظام الأخلاقي ¹.

الدولة هي الوسيط الذي من خلاله يدرك الأفراد موقعهم في الحياة الأخلاقية للمجتمع ، كأجزاء ضمن كل أعظم، الدولة هي تعبير عن روح تتكشف في التاريخ عبر التطور الديالكتيكي ².

يميز هيجل بين نوعين من الأخلاق، الأخلاق الموضوعية دائرة الحق المجرد تدرس الروح وهي خارجة عن ذاتها، متموضعة من حيث هي موضوع ، والأخلاق الذاتية تدرس الروح وقد عادت إلى ذاتها فهي ذاتية.

دائرة الأخلاق الموضوعية هي وحدة بين الموضوعية كما هي في الحق المجرد وبين الذاتية كما أصبحت في الأخلاق الذاتية فتعطينا الكلية التي هي كمال الحرية ³. ومعنى هذا أن الأخلاق الموضوعية (objective Morality) تعني أن القيم الأخلاقية والمبادئ الأخلاقية قائمة بذاتها خارج إرادة الفرد .

هيجل ينظر إلى الأخلاق الموضوعية على أنها تتجلى في مجموعات القيم الاجتماعية والثقافية التي تنظم حياة الفرد دون تدخل واضح منه . أما الأخلاق الذاتية (Self - determined Morality) تعني أن الفرد يشارك في تشكيل قيمة الأخلاقية

¹ محمد أعراب قزرون . المجتمع المدني عند هيجل مرجع سابق، ص 36.

² حاتم حميد محسن ، هيجل و مستويات الأخلاق ، مقال سابق.

³ محمد أعراب قزرون . المجتمع المدني عند هيجل مرجع سابق، ص 37

الخاصة بناء على تفكيره الخاص وإرادته الشخصية ، وهيكل يعزز هذا المفهوم بالتركيز على تطور الروح الأخلاقية للفرد وقدرته على اتخاذ القرارات الأخلاقية بحرية.

فهو لا يرفض أيًا من هذين المفهومين بل يربط بينهما من وجهة نظره تتطور الأخلاق الموضوعية إلى الأخلاق الذاتية عبر تجربة الفرد في المجتمع والتفاعل الثقافي والاجتماعي.

وختاما يمكن القول أن الدولة عند هيكل ليست مجرد كيان سياسي وسلطوي وإنما هي الميدان الأوسع للعلاقات الاجتماعية المتطابقة مع الثقافة المشتركة والحياة الأخلاقية، والملاحظ هنا أن هيكل يتبنى إلى حد كبير وصف كانط للفرد الرشيد والأخلاق لكنه يعتقد أن فهم كانط للفردية هو تعبير عن حقبة تاريخية محددة تتمثل في العالم الحديث.¹

وإذا أردنا إيجاد تلخيص مقتضب لفلسفة هيكل الأخلاقية فيتركز تفكيره الأخلاقي على فلسفته الشاملة التي تدرس التطور التاريخي والثقافي للفكر والقيم، فالأخلاق عنده جزء لا يتجزأ من تطور الروح العالمية وهي القوة التي تشمل كل مناحي الحياة، فهو قد ربط بين الأخلاق والحرية والعقلانية مؤكداً أن التقدم الأخلاقي يتم من خلال التفكير الحر والقانون العقلاني بين الأفراد في المجتمع.

المبحث الثاني: نقد شوبنهاور لأخلاق الواجب .

يعتبر الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور (1788م - 1860م) من تلامذة كانط ومع ذلك فهو أول الرافضين للأخلاق الكانطية وإن كان في بداية حياته مادحا لها ، فهو في نظر شوبنهاور قد فرق بين عالم الحوادث الظاهرة وميزها عن الحقائق الذهنية البسيطة

¹ حاتم حميد محسن ، هيكل و مستويات الأخلاق ، مقال سابق .

ولأنه في نظره قد أقام الصرح لأخلاق حقيقية تسمو بفاعلية الإنسان الحرة ووضعتها فوق احتمالات الحوادث المتغيرة والمتبدلة وإمكانات الظواهر الزائلة.¹

لقد كان تأثير كانط وكتابه "نقد العقل الخالص" في فلسفة شوبنهاور وفلسفة غيره من الأجيال في ألمانيا واضحاً، وقد حرص شوبنهاور على تسجيل إعجابه بفلسفة كانط في خاتمة كتابه "العالم من حيث هو إرادة وتمثل" حيث يقول: إن عملاً فكرياً رائعاً خرج من يد عبقرى أصيل يكون له دائماً على مجموع الإنسانية الأثر العميق الذي تمتد إلى أزمان متقدمة وإلى بلاد متباعدة، إن العلم الذي استطاع تحصيله هذا الرجل إبان حياة إنسانية طويلة زاخرة استقاه من مشاهدته المباشرة للعالم وللحياة فيقدمه للناس جاهزاً مهياً².

ومعنى ذلك أن شوبنهاور كان يقدر فلسفة كانط بشكل كبير، وقد تركّز ذلك الإعجاب حول المبدأ الأخلاقي العقلاني الذي أقام عليه كانط فلسفته الأخلاقية وكذا احترام الكرامة البشرية فهذان الجانبين يعكسان قيم مشتركة ومتشابهة لتلك التي كان يعتنقها شوبنهاور في الأخلاق يقول شوبنهاور: إن تعاليم كانط الزمان وحده سيكشف عن مبلغ قوتها و عظيم قيمتها ولست هنا لأتنبأ بمستقبلها ولكني أود أن أؤكد بعد الذي قلت أن مؤلفات كانط لا تزال فنية جداً، وإن زعم كثير من الناس بأنها قد بليت و شاخت فنحن نستطيع إظهار العيوب و الأخطاء في عمل مفكر عظيم أيسر من التتويه بقيمته تنويهاً واضحاً لأن العيوب منفردة ويمكن إدراكها جملةً وتفصيلاً في حين أن آثاره لا تندثر ولا ينضب معينها، وهذا هو الطابع الذي يميز أعمال العبقرى دائماً، ويستطرد شوبنهاور قائلاً إن أعمال كانط ليست في حاجة إلى مدحه لأنها قادرة بنفسها على تمجيد صاحبها وستحيا حياة خالدة في هذه الدنيا، ويعترف شوبنهاور بأن تطور حياته الفكرية قد أثرت فيه فلسفة كانط وأنه قد استقى أفكاره من مؤلفاته ويعترف له بالفضل الكبير ويقدم له كل الاحترام و

¹ عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1986، ص 118.

² المرجع نفسه، ص 118.

التبجيل.¹ غير أن هذا التقديس و التمجيد لأخلاق كانط لم تمنعه من توجيه عدة انتقادات ومؤاخذات لأخلاقه.

1- رفض شوبنهاور لأخلاق الواجب.

لقد وجه شوبنهاور نقداً لكانط وخص بذلك أخلاق الواجب التي يقول عنها أنه لم يلمس أي ظهور لها ، فإذا كان الواجب الأخلاقي مثلما اعتبره كانط فكيف نشبته ؟ أم أننا نرجع للأصول الدينية للبحث والتعمق في جذور هذا المصطلح ؟ .

هذه التساؤلات كلها تقتضي الإجابة وإجابتها واضحة حيث نقول أن الأخلاق الكانطية حسب شوبنهاور مجردة صورية، وأنه ليس هناك واجب بالمعنى الفلسفي أو الأخلاقي بل هناك وصايا نزلت لأول مرة في تاريخ العهد القديم على موسى، وإذن فإن مفهوم الواجب يرتد في خاتمة المطاف إلى الأخلاق اللاهوتية وهو بالتالي مفهوم غريب على الأخلاق الفلسفية.²

لقد اعترض شوبنهاور على هذا الغلو والتزمت والصورية في أخلاق الواجب ، ويرفض اعتبار الإرادة الحرة كأساس للواجب الأخلاقي حيث يقول : «إن الخطأ الذي وقع فيه كانط هو أنه ظن أن في وسعه تأسيس الأخلاق على أسس صورية أولية سابقة على التجربة، وهذا ما جعله يؤكد أن القانون الأخلاقي لا ينصب على مادة الأفعال بل على صورتها فقط، ولكننا لسنا ندري كيف وقع في ظن كانط أن يكون في وسع الفيلسوف الأخلاقي أن يضرب صفحا عن شتى خيارات الناس داخلية كانت أم خارجية ، وأن يتجاهل شتى وقائع العالم الخارجي كي يقيم الأخلاق كلها على بعض المعاني المجردة .³

¹ عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية ص 108- 110 بتصرف .

² زكريا إبراهيم، كانط أو الفلسفة النقدية، مرجع سابق ، ص 149

³ زكريا إبراهيم ، المشكلة الخلقية ، مرجع سابق ص 180

يرى شوبنهاور أن مفهوم الواجب مفهوم غريب عن الفلسفة قريب من الأخلاق اللاهوتية ، فإذا كان كانط يقول بأننا يجب أن نخضع لهذا الواجب فهو قول ليس فيه من العقلانية شيء فالمصطلحات التي أتى بها كانط ليست فلسفية ولا أخلاقية بل هي مصطلحات "لاهوتية" انحدرت إلينا من تشريع موسى، وحتى وإن سلمنا بأن الواجب مفهوم أخلاقي صرف فإن قول كانط بضرورة الخضوع للقانون هو قول غير معقول ؛ لأن العقل يلزمنا دائماً بالبحث عن الحثيات التي تُسوغ للقانون أن يأمرنا.¹

كان اعتراض شوبنهاور على الكلمات التي جاء بها كانط في نظريته الأخلاقية وهي كلمات الإرادة ، الواجب ، القيمة الأخلاقية، الأمر المطلق ، كلها كلمات مأخوذة حسب رأيه من سفر موسى وفي ذلك يقول شوبنهاور: "من يدرينا أن هناك بالفعل قوانين لا بد أن تخضع لها كل أفعالنا ؟ بل من يدرينا أن مالم يحدث في يوم من الأيام لابد أن يحدث هو بالضرورة مما ينبغي حتما أن يكون"، أليس من واجب عالم الأخلاق أن يفسر معطيات التجربة بحيث يتناول ما هو كائن أو ما قد كان محاولا العمل على فهمه حق الفهم بدلا من الاقتصار على وضع الأوامر وصياغة القواعد.

2 -اعتراضات شوبنهاور على أخلاق كانط

من الاعتراضات التي قدمها شوبنهاور على الأخلاق الكانطية ما يلي:

1-أنها أخلاق توجيهية، في حين أن الأخلاق يجب أن تحاول وصف ما يجب أن يكون عليه الناس.

2-انتقد شوبنهاور صورة الأخلاق الكانطية التي يرى بأنها مبادئ أولية نابعة من العقل سابقة عن التجربة متجاهلا بذلك مؤثرات العالم الخارجي والعوامل النفسية.

¹ زكريا ابراهيم، المرجع نفسه ، ص 180

3- رفض شوبنهاور لأخلاق كانط لأنها في نظره كانت صورية محضة ومتعالية ولأنها تنفي كل إرادة للفرد وتخضعه لقانون الواجب.

4- إن الأخلاق في نظر شوبنهاور لا يمكن أن تكون واحدة ثابتة عند جميع الناس بل متغيرة نسبية مع تغيرات طبيعة البشر وظروفهم ومؤثرات حياتهم.

يقول شوبنهاور « إن شعور الإنسان بواجبه ليس صادرا من أخلاقية فطرية كما ذهب إليه كانط ولكن مستمد مما أودعه المجتمع في الفرد من قواعد للسلوك ، فالأخلاق لا تهبط للإنسان كما هي ، وليست الأخلاق عامة مطلقة، ولكنها قانون للسلوك ينمو ويتطور بما هو ملائم لحياة الجماعة »¹

5- كما اعترض كانط على قواعد الأخلاق عنده فالقاعدة الأولى التي هي قاعدة التعميم فلا يمكن أن نعمم هذه القاعدة على الإنسانية ككل بل هي تمثل شيئا جزئيا فقط ، وفي ذلك يقول مهران « أن القاعدة الأولى لاتمثل أمرا مطلقا بل هي مجرد أمر مشروط تستند إلى أمر التبادل بدليل قول كانط نفسه ، أنني لا أستطيع مثلا تحويل الكذب إلى قانون عام لأنه لا أحد عندئذ يصدقني كما أن الناس في هذه الحالة سوف يردون على تصرف بمثله »²

6- كما كان اعتراض شوبنهاور على قاعدة التعميم فإن الاعتراض قد شمل قاعدة الغائية والتي تعتبر أن الفرد غاية في ذاته وليس أداة ، وفي هذا يبدي شوبنهاور رأيه في هذه الفكرة أن الغائية هي إلزامية للشيء الذي نسعى إليه، أي هدفنا منه ، فهي لا تكون من غير حضور و تمثل الإرادة، هذه الأخيرة التي يعتبرها شوبنهاور تتميز بال رغبات والشهوات التي تدفع الإنسان للمضي من غير أي شعور منه وهي جوهر الإنسان ، فكان

¹ محمد مهران رشوان تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص 22

² محمد مهران رشوان ، المرجع نفسه ، ص 173.

انتقال كانط إلى القاعدة الثانية فيها يقرر أن الشخص البشري غاية ذاته لا مجرد وسيلة أو واسطة، و شوبنهاور يعلق على هذه القاعدة فيقول أن هذه الغاية هي وبالضرورة شئ مراد ، بمعنى أنها لا توجد إلا بالقياس إلى إرادة تكون منها بمثابة المقصد أو الغرض المباشر.¹

لقاعدة الغائية عند كانط تأسيس أخلاقي يقوم على فكرة أن الأفعال الصحيحة هي تلك التي يمكن للجميع أن يتبعها دون تعارض ، بغض النظر عن النتائج المتوقعة أو الغايات المطلوبة، ويرى شوبنهاور أن هذه النظرية لا تأخذ بعين الاعتبار التفاعل الإنساني الحقيقي والحساسيات الشخصية والمواقف الفردية ، بالإضافة إلى ذلك شك في إمكانية تطبيق قاعدة الغائية في الواقع بشكل عملي بدون استثناءات أو تعديلات، نقد شوبنهاور القاعدة الغائية عند كانط يركز على عدم مرونتها و قدرتها القليلة على التعامل مع تعقيدات واقع الحياة وتنوع المواقف الإنسانية.

7- أما عن نقد شوبنهاور للقاعدة الثالثة فقد كان فيه موضحاً للخطأ الذي وقع فيه كانط وهو أن يجعل من الإرادة الإنسانية قانوناً كلياً عاماً ويضع شروطاً للأمر المطلق رافضاً أي منفعة أو فائدة أي كما أراد كانط الواجب من أجل الواجب ، وهذا ما أشار إليه شوبنهاور في نقد القاعدة الثالثة من قواعد كانط فيقول « إن كانط يريد أن يجعل إرادة كل مخلوق عاقل هي التي تشرع بطريقة كلية عامة قانون المخلوقات العاقلة الأخرى جميعاً، وهو يقرر في هذا الصدد أن السمة النوعية الخاصة التي تميز الأمر القطعي المطلق إنما هي انعدام كل مصلحة لدى الإرادة التي تعمل بوازع من احترام الواجب ، وهذه الفكرة نجدها لدى كانط حيث كان مفادها إصدار القوانين من الإرادة الخيرة التي تكون أوامرها لأجل الواجب نفسه وليس من أجل أي هدف آخر، فشوبنهاور يرى أن مصطلحي المصلحة والباعث مفهومان

¹ زكريا إبراهيم ، كانط أو الفلسفة النقدية، مرجع سابق ، ص 150.

متكافئان يمكن أن يحل الواحد منهما محل الآخر، وهذه الفكرة نجدها لدى كانط حيث كان مفادها إصدار القوانين من الإرادة الخيرة التي تكون أوامرها لأجل الواجب نفسه وليس من أجل أي هدف آخر¹.

نحن نعرف كيف أراد كانط أن يخلع على الأخلاق صبغة أمرية مطلقة، وكيف اقتادته نزعته الصورية المتطرفة إلى القول بأن بيت القصيد في أي فلسفة عملية أن نشرح أسباب ما يحدث بالفعل، بل أن نبسط القوانين التي تحدد ما ينبغي أن يحدث².

إن الخطأ الذي وقع فيه كانط هو أنه ظن أن في وسعه تأسيس الأخلاق كلها على أسس صورية أولية سابقة عن التجربة، ويشبه شوبنهاور أستاذه كانط بالطبيب الذي ينجح في علاج مرض ما من الأمراض بدواء معين، فيأبى أن يستخدم هذا الدواء عينه لعلاج شتى الأمراض³.

وخلاصة القول أن شوبنهاور قد وجه النقد لكانط للقواعد الثلاث التي كانت لها أبعاد إنسانية مستقلة في نظره، ونحن لا ننكر أن شوبنهاور على حق حين يأخذ على أستاذه كانط إهماله للتجربة واغفاله للوجدان عند تحديده لمفهوم القانون الأخلاقي، ولكننا نميل بالظن بأن الخطأ الجوهرى الذي يكمن في نظرية كانط الأخلاقية في فصله للإرادة عن الرغبة⁴.

يقول محمد مهران رشوان في كتابه تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة العربية أن خلاصة ما يقوله كانط أن كل فرد منا يرغب في أن يعاونه الناس فلو صرّح لهم بأنه لن يسانداهم فالآخرين سيتوقفون بدورهم عن مساندته ومعاملته، فمبدأ الأنانية هنا ينقض نفسه

¹ زكريا إبراهيم كانط والفلسفة النقدية، مرجع سابق، ص 150 .

² المرجع نفسه، ص 148.

³ المرجع نفسه، ص 149

⁴ المرجع نفسه، ص 152

بنفسه ،وهاتان العبارتان وغيرهما تستندان في رأي شوبنهاور إلى مبدأ التبادل باعتباره فرضا ضمنيا نسلم بصحته ،وكأن كانط يريد أن يقول إذا أردت ألا يسيء إليك أحد فلا تُسء أنت إلى أحد ،ويمكن القول أن أخلاق كانط تقوم أساسا على مبدأ حب الذات ما دام أن احترامي لهذا المبدأ ينبع أساسا من حرص على عدم تعرضي لأي أذى من طرف الآخرين.¹

وما تشير إليه هذه الفكرة أن فلسفة إيمانويل كانط حسب شوبنهاور تركز على الأنانية وحب الذات على أنه جزء من الأخلاق العامة والأخلاق الواجبة حيث يربط أخلاقه حسب شوبنهاور بمفهوم الاحترام الذاتي ومعاملة الآخرين كما ترغب أن يعاملوك.

لقد أعلن شوبنهاور أن الأخلاق مبحث فلسفي نظري لا يتصف أبدا بطابع عملي أو تطبيقي مثله في ذلك مثل علم المنطق وما بعد الطبيعة، فليس في وسع الأخلاق أن تأمرنا أو تفرض علينا أي شيء إن لم نقل بأنها عاجزة عن دراسة أوامر السلوك.

إن حياة الإنسان كما يرى ذلك شوبنهاور تمضي في سبيلها دون أن تُعير الأخلاق كبير الاهتمام، فليس في وسع الأخلاق أن تتبكر ما ينبغي أن يكون بل ليس في وسعها حتى أن تكتشفه وتعلمنا إياه ،وهكذا ينفي شوبنهاور عن الأخلاق كل طابع معياري لكي يحيلها إلى مجرد دراسة نظرية أو تأملية بحتة.²

وخلاصة القول أن نقد شوبنهاور لأخلاق كانط يركز على نقاط أساسية :

- 1- ينتقد شوبنهاور ركيزة الأخلاق الكانطية التي تقوم على الواجب الأخلاقي وحده دون مراعاة النتائج العملية للأفعال؛ حيث يرى أن التركيز الحصري على الواجب يمكن أن يفقد الأخلاق مرونتها وقدرتها على معالجة المشكلات الأخلاقية الحقيقية

¹ محمد مهران رشوان، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة العربية، مرجع سابق، ص 145

² المرجع نفسه ص 24-25

2- أكد شوبنهاور على وجود تناقضات كثيرة في نظرية كانط مثل: الفصل الصارم بين الواجب والنية الطيبة.

3- اعتبر شوبنهاور أن الأخلاق الكانطية تفتقر إلى القاعدة الأساسية التي تجعلها مقنعة وهي عدم القدرة على تحديد قيمة مطلقة للأخلاق .

وبصفة عامة يمثل نقد شوبنهاور تحدياً للتفكير الأخلاقي العقلاني الذي يركز فيه كانط على الواجبات والقواعد العامة ، ويبرز أهمية التفاعل الإنساني الحقيقي والتفاعل الفردي في الأخلاق .

3- الإرادة والأخلاق عند شوبنهاور:

لقد كان لشوبنهاور دور كبير في تأسيس فلسفة الإرادة والأخلاق وترك بصمة واسعة في التفكير الفلسفي والأخلاقي في العالم الغربي.

تناول شوبنهاور الإرادة والأخلاق بشكل معمق في أعماله وركز على أهمية الإرادة كقوة أساسية تتحكم في أفعال الإنسان وتوجهه، والأخلاق عنده تنبع من الإرادة الحرة التي تسمح للفرد بالتحكم في اختياراته .

إن الإرادة هي التي تتغلغل في العقل وتتصل بجذوره ولا تسمح لأي نشاط إذا لم يتوافق مع غايتها ؛ولهذا فالعقل لا يتصور العالم تصوّرًا موضوعيًا إلا إذا تخلص من الأساس الذي يرتبط به وهو الإرادة وهذا العقل يظل خاملاً إذا لم تحركه الإرادة بمطالبها، فيتجه إلى معرفة الأشياء وعلاقاتها.¹

فالكون كله في نظر شوبنهاور أساسه الإرادة ومن طبيعة الإرادة أنها القوة الداخلية المحركة والمكونة للشخص، فالإرادة كما يفهمها شوبنهاور هي إرادة الحياة التي تعبر عن

¹ وافي عريزي، شوبنهاور و فلسفة التشاؤم، دار الفارابي بيروت، لبنان ط 1 2008 ، ص 158

نفسها كاندفاع أعمى لا عاقل نحو الحياة، فالإرادة تعني أن نريد و أن نرغب ومن ثم
فالإرادة هي الرغبات و الاندفاعات والميول من كل نوع.¹

يرى شوبنهاور أن الإرادة هي القدرة على اتخاذ القرارات الحرة والتصرف بحرية وفقا
لمبادئ وأهداف تسعى إليها الذات، إذ يعتبر أن الإنسان يتحكم في مصيره من خلال إرادته،
غير أن المعرفة الإنسانية تستطيع التحرر من الإرادة الكلية وذلك بالتأمل الفني فيزولمعه
كل شعور بالفردية ويتخلص الفرد من الألم.

إذن عند شوبنهاور الفن والأخلاق وسيلتان للتحرر من الشعور بالوجود وبالألم، غير
أن التحرر بالفن لا يتسنى إلا للعابرة ولا يتسنى لهم مرارا، وهناك وسيلة أخرى للتغلب على
الأنانية تدفع بنا إليها الإرادة هي التركيز على وحدة البشر و أننا كل واحد، وأن الفردية وهم
خادع، وهنا يكمن منشأ الفضيلة الحقة ومحبة الإنسانية، وإذا كانت اللذة تمحو الألم كان
كل ما تستطيعه المحبة التخفيف من وطأة الألم لذا تبدو المحبة في صورة الشفقة، فالشفقة
عند شوبنهاور هي الظاهرة الأخلاقية الأولية، وهي أكبر دليل على وحدة النوع الإنساني أما
الفضائل الأخرى المعروفة فهي صورة من صور الأنانية يهدف منها الناس إلى تحقيق
أهداف معينة بينما الشفقة والرحمة ميل عن الذات إلى الغير.²

يربط شوبنهاور الشفقة بالقدرة على التعاطف والتفاعل مع معاناة الآخرين . يرى أن
فهمنا للشفقة يعزز من قدرتنا على اتخاذ القرارات الأخلاقية الصائبة.

إن المصدر الرئيسي لكل الأخلاق عند شوبنهاور هو مشاركة معاناة الآخر بعيدا عن
الدوافع الأنانية، فالتصرف السليم أخلاقيا لا يعني التصرف من وجهة نظر معينة بل يعني

¹ عبد الكريم لمباركي، آرثر شوبنهاور و مفهوم إرادة الحياة، موقع Philo-ibnosina Kénitra تاريخ الدخول

2024/7/24 الساعة 14:00 .

² يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 304-305

التصرف دون وجهة نظر إطلاقاً، فالذات الخيرة حقا هي ذات ميتة على الأقل يعيش في حالة مغلقة دائما، ولا يتردد الفيلسوف المتشائم في منحنا أنواعا من العلاج لتحرير الإنسان من ربة الحياة، فثمة طرق عديدة وطريق الأخلاق علاج أفضل، وعلى المرء أن يذكر أن السعادة ليست هدفا الحياة لأن الحياة لا هدف لها وأن أسعد الأوقات هي الأوقات التي نقضيها نائمين، فالدافع لكل عمل أخلاقي ينبغي أن يكون هو الشعور باتحادنا مع المعذبين المتألمين و من هنا جاءت قيمة الرحمة والشعور بالرحمة هو العاطفة الأخلاقية الأولى¹.

إذن فالعطف والشفقة و الأخلاق هي الأساس الذي سيخلص الكائن البشري من تلك الإرادة العمياء الذي تسكنه محاولا بذلك ضبطها، إذ أن الفضيلة تقوم على توافق النفس مع ذاتها خلال الحياة في مجملها، فغاية الأخلاق عند شوبنهاور كسائر الفلسفات الأخرى تجعل الواقع معقولا وهي التي تحافظ على الفرد وتصونه من أنانية الآخرين، وإن كانت أخلاق مبتدعة فهي الكفيلة بإعطاء وهم الحب للغير.²

وهكذا يمكن القول أن شوبنهاور قد فاق الفلاسفة جميعا في إقامة مذهبه في الوجود بأسره على أساس فكرة الإرادة، واستحق بذلك أن يحوز على اسم مؤسس المذهب الإرادي في العصر الحديث.³ وكان له بذلك تأثيره العميق على الفلسفة الأخلاقية، فهو يذكرنا أن الأخلاق ليست مجرد مجموعة من القواعد و التوجيهات بل هي نظرية تتعلق بكيفية استغلال حياتنا بشكل صالح و معنوي .

¹ عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، مرجع سابق، ص 124

² عبد الكريم المبارك، آرثر شوبنهاور ومفهوم إدارة الحياة، مقال سابق.

³ عبد الرحمان بدوي، خلاصة الفكر الأوروبي، شوبنهاور، در القلم بيروت، لبنان، دطبت، ص 208

المبحث الثالث: النقد النيتشوي للأخلاق الكانطية:

تعرض موقف كانط الأخلاقي للكثير من الانتقادات والاعتراضات دارت حول الواجب الأخلاقي ، فهذه النظرية وصفها النقاد بأنها متطرفة غارقة في التزمّت والتشدد تستبعد الميول والوجدان وتهمل التجربة الإنسانية كما يعيشها الناس في واقعهم ، فكيف يمكن أن نلغي السلوك الذي ينبع من الوجدان والميول وهو قد يكون أنبل من سلوك يصدر من العقل، وهذا المذهب حسب النقاد لا توجد به أية استثناءات لأن مفعوله يسري على الجميع ونحن بتجربتنا نعرف أنه لا توجد قاعدة أخلاقية تتصف بكل هذه القداسة.¹

و من الفلاسفة الذين تناولوا هذه النظرية بالنقد والتحليل الفيلسوف الألماني نيتشه الذي تتراوح نظريته إلى كانط بين التقدير و الإعجاب ، وإذا عدنا إلى نظرة التقدير فهو تقدير إيجابي فهو يرى أنه ذا قيمة في تاريخ الفكر، قدّم خدمات جليلة للفلسفة الأخلاقية لا تقدر بثمن؛ إذ بين ذلك الوهم الذي هو في قلب الفلسفة السابقة عليه عندما قام في فلسفته بإيقاظ العالم من نومه الدوغماتي وساعده على الانتصار على التفاؤل النظري، لقد كان أول من قدم تحدياً جذرياً لتفاؤل الحضارة الغربية ومعتقداتها الميتافيزيقية والإلهية.²

يرى كانط أنّ الإرادة الخيرة هي إرادة الفعل بمقتضى الواجب دون أي اعتبار آخر؛ فهذه الإرادة لا تخضع لأي قانون سوى قانون الواجب فكل فعل يؤدي احتراماً للواجب ، ومن صفات الواجب عند كانط أنه صوري خالص وتشريع كلي وقاعدة شاملة لا صلة له بالتجربة وتغيراتها ، فهو مبدأ أولي يقوم أولاً وأخيراً على العقل الخالص وحده وهكذا يبتعد عن المنافع الشخصية كما أنه قاعدة غير مشروطة ، فالإنسان يحاول أن يكون فاضلاً وهو

¹ محمد مهران رشوان، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة مرجع سابق ص172

² جمال مفرج ، نيتشه وحدود النقد الكانطي ، موقع حكمة www.hekma.com تاريخ الدخول : 2024/7/24

الساعة : 14:30 .

بذلك يخضع لقانون عام صالح للبشرية جمعاء ؛إنه قانون قد يتعارض مع دوافعنا ومصالحنا إلا أنه يجب أن يطاع لذاته دون أي ارتباط بأي شيء آخر أو غاية أخرى ولهذا سماه كانط أمراً مطلقاً.¹

يقوم الأمر المطلق عند كانط على إلزامية الفعل «افعل الفعل بحيث يمكن لمسلّمة سلوكك أن تصبح مبدأ تشريع عام» أو بدقة أكثر بحيث تريد لها أن تصبح قانوناً عاماً لجميع الناس ،ولكن ما الشيء الذي يجعلني أطيع هذا الأمر الصادم المطلق وكيف أخضع للواجب الأخلاقي وأطرح كل ميولي ورغباتي جانباً وأغض الطرف عن كل ما من شأنه أن يحقق لي منفعة.²

لقد أخذ نيتشه كل هذه الأسئلة في الحسبان فكما رفض النقد الكانطي رفض أيضاً القانون الأخلاقي و الأخلاق الكانطية التي تمثل إحدى المرجعيات الكبرى للأخلاق في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ،ويعتبر أن كل ما جاء به كانط زائف وسليبي فأول ما يتجه إلى نقده في فلسفة كانط هو أساس هذه الفلسفة ونعني به الأمر المطلق أو الأمر القطعي الذي يقول عنه في كتابه "العلم المرح" "وها أنتم هؤلاء تعجبون بالأمر المطلق في داخلكم وبمتانة حكمكم الأخلاقي المزعوم هذا وبمطلقية الإحساس بأنه في هذا يجب على الآخرين أن يحكموا مثلي أنا، إنه لمن الأنانية حقاً أن يشعر الواحد بحكمه الخاص كقانون كوني وإنها لأنانية عمياء خسيصة تكشف أنك لم تجد نفسك بعد وأنك لم تخلق لنفسك مثلاً شخصياً محضاً، إن الذي لا يزال يحكم بأنه في الحالة كذا يجب على كل واحد أن يفعل كذا".³

¹ محمد مهران رشوان ، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة مرجع سابق ، ص 159 -162.

² إيمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، مرجع سابق، ص 10،11.

³ جمال مفرج ، نيتشه وحدود النقد الكانطي، مقال سابق.

لقد حاول كانط ربط القيمة الأخلاقية بالإلزام الخلقي وحدد مميزات لهذا الإلزام الخلقي منها أنه مطلق بدون قيد و غير مشروط بعيد كل البعد عن كل استثناء مما يعني أن واجباتنا فعلية وليست واجبات للوهلة الأولى.

وقد كان اعتراض نيتشه على هذا المفهوم بالتحديد "الأمر المطلق" مؤكداً أن كانط معجب بالأمر المطلق وبمتانة حكمه، والحقيقة ليس هناك ولا يمكن أن تكون هناك أفعال متماثلة أبداً ؛لأن كل فعل من الأفعال هو فعل فريد من نوعه ولا يمكن تكراره ثانية ، فلماذا هذه الرغبة الكانطية في تحويل الناس إلى قطيع وتهجينهم.¹

وهذا يعني أن نيتشه يعترض على فكرة الإرادة الخيرة والنية الطيبة وعلى إلزامية الأمر المطلق وعلى القواعد التي أتى بها كانط ، فكيف يمكن أن تعمم قانوناً أخلاقياً على جميع الناس باختلاف ميولهم وأهوائهم ،وكيف يمكن أن يكون الإنسان هو مشرع القانون وواضعه وفي نفس الوقت خاضع له ،فستسيطر الأنانية حتماً على تصرفاته يقول نيتشه : " هو إنسان لم يتقدم في معرفة ذاته ولو قليلاً وإلا فإنه سيعرف أنه ليس هناك ولا يمكن أن تكون هناك أفعال متطابقة أبداً ؛لأن كل فعل يتم بطريقة فريدة ولا يمكن أن نهتدي إليه ثانية وسنطبق نفس الشيء على كل فعل مقبل".²

وكهذا يرى نيتشه أن قاعدة كانط التي مفادها أن ما يكون مقبولا أخلاقيا هو ما يكون مقبولا للجميع هي زيف وخطأ، فلا يمكن أن توجد أخلاق مطلقة إلا إذا كان البشر منطبعة واحدة وهذا غير صحيح.³

¹ سمير بلكيف ، إيمانويل كانط فيلسوف الكونية ، منشورات الإختلاف، الجزائر ، ط1، 2011، ص 224 .

² جمال مفرح ،نيتشه وحدود النقد الكانطي ، مقال سابق.

³ المرجع نفسه .

فالإنسان في نظر نيتشه لا يمكن أن يحكم هو على أفعاله ولا يمكن أن يميز وحده بين ما هو خير وما هو شر، مما يجبرنا إلى عدم تطبيق نفس الأحكام على الأفعال ذاتها فهي لا يمكن أن تكون متشابهة متماثلة ولوجدت في نفس الظروف.

1-نقد نيتشه للنزعة الدينية عند كانط.

إن النزعة الدينية التي تتحكم في فكر كانط وفي فكر الفلاسفة عموما تعتبر عند نيتشه انحطاطا ،فهو يرى أن العلة في ذلك ترجع إلى الصبغة الدينية التي تطبع كل فلسفته وارتباطها بشكل أساسي بالدين ، ففلسفة كانط تعد في نظر نيتشه استمرارا للدين، ونجاح كانط في ذلك ليس سوى نجاح لاهوتي ولهذا فنقد نيتشه للفلسفة الكانطية يطالها بوصفها لاهوتاً مخادعا واحتيالياً أي بوصفها انحطاطا ، يقول نيتشه: «إن الانحطاط الألماني في شكل فلسفي هو كانط » ، ويمكن القول أن الخلاصة التي يمكن التوصل إليها من خلال عرضنا لانتقادات نيتشه أن إعلان نيتشه الحرب على كانط كان بمثابة اعلان الحرب على المسيحية .¹

لقد وجه نيتشه نقدا لاذعا للقيم الأخلاقية وهو في الأساس ينتقد المسيحية التي كرس في نظره الأخلاق الداعية إلى الزهد والتي هي السبب في انحلال أوروبا، وللتخلص من هذه الأخلاق أي أخلاق العبيد يجب تعرية مصدرها وفضح الأساس الذي تقوم عليه وهذا يتطلب النظرة إلى الأخلاق عموما بوصفها أنواعا من السلوك صادرة عن الطبيعة الإنسانية وما يؤسسها من غرائز وفي مقدمتها غريزة حب السيطرة وإرادة القوة، أما الآراء التي تُرجع وتنسب الأخلاق إلى قوة عليا كالله أو إلى أمر مطلق صادر عن العقل فهي في نظره آراء باطلة ويمكننا الاستدلال على ذلك باختلاف القيم الأخلاقية وتعارضها من عصر إلى عصر ومن مجتمع إلى مجتمع ، فليس الشيء الواحد خيرا أو شرا عند جميع الناس

¹ المرجع نفسه .

وفي جميع العصور وفي جميع المجتمعات وبالتالي فالقيمة الأخلاقية في نظر نيتشه ليست تعلق علي الزمان والمكان وإنما هي من الإنسان ذاته وعاداته وأعرافه.¹

ان كانط في نظر نيتشه لم يلجأ إلى النقد من أجل العلم ولكن أعتمد على النقد من أجل الدين والأخلاق ، وكما رفض نيتشه النقد الكانطي و اعتبره نقدًا غير حقيقي على الإطلاق فهو يرفض أخلاقه الميتافيزيقية الكونية التي تقول ما يكون مقبولا عند الجميع هو ما يكون مقبولا أخلاقيا وهذا قمة الزيف والخطأ لأنه لا يمكن أن توجد أخلاق مطلقة إلا إذا كان البشر من طبيعة واحدة وهذا غير صحيح .²

2- نقد نيتشه لقيمة العمل الأخلاقي :

يتمر نيتشه إلى نقد العمل الأخلاقي لأنه المسؤول عن الانقلاب الخطير في القيم الأخلاقية عن طريق تحويل كانط للقيمة الأساسية للعمل من النتائج إلى الأسباب ، يقول نيتشه :خلال أطول مرحلة في التاريخ الإنساني -أي مرحلة ما قبل التاريخ -كانت قيمة أو عدم قيمة عمل تأتي من نتائج هذا العمل وكانت هي الفضيلة، فضيلة النجاح أو الفشل التي تجعل الناس يحكمون على عمل ما إما بالجودة أو الرداءة ،ولكن دفعة واحدة بدت تبشير سيطرة خرافية جديدة وقاتلة ، سيطرة تأويل ضيق تشرق في الأفق لأن أصل العمل نُسب إلى النية التي كان ينبثق عنها ،واتفق أن قيمة العمل تكمن في قيمة النية وهكذا صارت النية تشمل سبب العمل و ما قبل تاريخه.³

ما يمكن أن نستخلصه من هذا القول أن نيتشه يُرجع إلى كانط التحول الذي حصل في القيم الأخلاقية فبعدما كنا نعتمد على نتائج أفعالنا لتقدير قيمة العمل الأخلاقي أصبحنا

¹ محمد عابد الجابري ، قضايا في الفكر المعاصر ، مركز الدراسات للوحدة العربية، بيروت لبنان ط1، 1997 ، ص 50.

² عماد حسناوي، نيتشه قارئاً لكانط، المكتبة العامة ، موقع الحوار المتمدن m.ahewer.org ، تاريخ الدخول

2024/7/22 ، الساعة 6:15 .

³ عماد حسناوي، نيتشه قارئاً لكانط، مقال سابق.

نبحث في أسباب الفعل، فنحن نحكم على قيمة عمل ما بنتائجه الذي يحققها لنا وليس بأسبابه التي دفعتنا إلى العمل وعليه يرى نيتشه أن هذه الفكرة الجديدة التي ظهرت في الأفق والتي تنسب إلى كانط فكرة النية الطيبة لا يمكن أن تكون أساسا لفعل أخلاقي. وإجمالاً يمكن القول إذا حاولنا تلخيص التعارض النيتشوي مع كانط فهو يتناول نقاطاً مهمة ركز عليها نيتشه ليبني نقده وهي كالآتي :

1- لا مبادئ صورية تكون شروطاً بسيطة لوقائع مزعومة بل مبادئ تعاقبية منطقية تعرض معنى المعتقدات والتفسيرات والتقويمات وقيمتها.

2- إننا ننخدع بشأن اللاعقلانية طالما نعتقد أن هذا المذهب يعارض العقل بشيء غير الفكر كحقوق القلب أو الشعور أو الهوى.

3- ليس الكائن العاقل موظف القيم المتداولة الكاهن والمؤمن معا ،المشرع والمأمور العبد الظافر والعبد المهزوم إنسان ارتسامي في خدمة ذاته .¹

يقدم نيتشه عبارات النقد لكانط وهو بذلك إنما ينقد أخلاقه التي عرفت انتشاراً واسعاً في العصر الحديث واعتبرت إحدى المرجعيات الكبرى ، فهي بالنسبة له تمثل فكراً مغالطياً لا مجال للصحة فيه وهي بالنسبة له زائفة وسلبية .²

يقول نيتشه: " لو فكرت بشكل أدق لاحظت أحسن وتعلمت أكثر لما أسلمت لهذا الواجب وهذا الضمير الذين تدعي أنهما لك فلا وجود لأي واجب ولا ضمير بأية حال من

¹ جيل دولوز، نيتشه و الفلسفة، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1993 ص 120-121.

² جمال مفرج ، الإرادة والتأويل، تغلغل النيتشوي في الفكر العربي منشورات الاختلاف الجزائر ط 1، 2009

الأحوال ،ففهم الطريقة ذاتها التي أمكن أن تنشأ بها الأحكام الأخلاقية سيقززك من هذه المصطلحات المثيرة للشفقة.¹

لقد انتقد نيتشه فكرة الواجب كما وضعها كانط حيث رأى أن مفهوم الواجب كان يقيد الفرد ويعوق تحقيق إمكاناته الحقيقية، فكانط ركز على أخلاق الواجب والعمل الذي ينبغي أن يفعل بينما نيتشه رأى أن هذا المنهج يقيد الإرادة الحقيقية للفرد ويفرض عليه معايير وقيم يجب أن يتبعها دون أن يسأل عن مدى ملاءمتها وتوافقها مع رغباته، وقد اعتبر أن المنظومة الأخلاقية الكانطية منظومة تقوم على قيم الشعور بالمسؤولية والواجبات الأخلاقية التي تضع حدودًا على الحرية الفردية وتقيدها.

3-أخلاق القوة بدل أخلاق الواجب :

لقد حظي الجانب الأخلاقي عند نيتشه بكل اهتمامه فقد اطلع على كل النظريات الأخلاقية التي سبقته فتناولها بالدراسة والتحليل والنقد، ثم شرع في بناء منظومته الأخلاقية في سياق يتوافق مع ميوله. إذ لا يكتفي نيتشه بمجرد الدعوة إلى بناء الأخلاق والقيم على العلم بل يعمل هو نفسه على تطبيق المنهج العلمي في تحليل القيم الأخلاقية وتتبع مسار تطور الأخلاق ، وينظر نيتشه إلى الأخلاق والقيم الأخلاقية بوصفها ظواهر بشرية من صنع البشر أنفسهم ، فالناس هم الذين أعطوا لأنفسهم كل خيرهم وشرهم فهم لم يتلقوا ذلك من قوة عليا ولا هبط إليهم من السماء ، فالقيم الأخلاقية عنده ليست أبدية ولا مطلقة وإنما هي نسبية قابلة للتغيير الذي يلحق دوافعها البيولوجية والفيزيولوجية والاجتماعية .²

¹ فريدريك نيتشه ، العلم المرح ، ترجمة وتقديم : حسان بورقية و محمد ناجي ، مطابع إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ط1 1999، ص16 ،

² محمد عابد الجابري ، قضايا في الفكر المعاصر، مرجع سابق ،ص 48

كانت نظرة نيتشه إلى مفهوم الأخلاق نظرة متقدمة ومتحررة عن المفاهيم التقليدية إذ كان يعتبر الأخلاق تحديدا للقيم التي ينبغي على الفرد اعتمادها لتحقيق النجاح الذاتي والسعادة بدلا من الامتثال الأعمى للقوانين والتقاليد؛ حيث يرى نيتشه أن القيم الأخلاقية تنبع من داخل الفرد بدلا من فرضها عليه من الخارج مما يعكس رؤية متمردة على الأخلاق القائمة على الدين أو القوانين الاجتماعية المتعارف عليها.

لقد قام نيتشه بفحص أخلاق عصرنا فوجدنا مطبوعة بطابعين أولهما الزهد الديني من جهة والمعقولية الفلسفية من جهة أخرى، فالطابع الأول قد سعت إلى تكريسه المسيحية أما الطابع الثاني فقد عرف أوجه مع فلسفة كانط، وهذان الطابعان يلتقيان عندما تبلغ المعقولية الفلسفية درجتها القصوى من التجريد كما فعل أفلاطون الذي وحد بين الأخلاق والألوهية ومثل ذلك نجده عند كانط الذي جعل من الأمر المطلق الذي لا يناقش أشبه ما يكون بالأوامر الإلهية في الأخلاق الدينية، ومن هنا كانت الأخلاق في عصره أخلاقا زاهدة مليئة كما يقول بالتضليل والخداع، إنها تطلب من الإنسان أن يमित نزعاته الحيوية وذلك شيء مستحيل ومخالف للطبيعة الإنسانية، كما تطلب منه أن يسلك مسلكا عقليا خالصا مع أن هذا مطلب صعب فوق طاقة الإنسان وضد طبعه الحيوي.¹

— أخلاق السادة وأخلاق العبيد :

لقد قدم نيتشه رؤية جديدة للأخلاق وفقا لما يرى فعَدَّ أن هناك نوعين من الأخلاق، أخلاق السادة وأخلاق العبيد، فمن خلال الأولى تظهر الأخلاق المرتبطة بالطبقات الحاكمة والمسيطرة والتي تكون لها الرغبة في السلطة، وتظهر في أخلاق العبيد القيم التي تركز على التسامح والعطف والتواضع.

¹ المرجع نفسه ، ص 49

لقد قام نيتشه باستعراض تاريخ الأخلاق فوجده عبارة عن صراع بين نزعتين من الأخلاق أخلاق السادة وأخلاق العبيد ، والغاية التي يتجه إليها هذا الصراع هي تحقيق الإنسان الأرقى ، فتاريخ الأخلاق عنده إذن محكوم بدوره بقانون الحالات الثلاث من جهة وبفكرة التقدم من جهة أخرى وهذا تماما ما ذهب إليه أوغست كونت ، و هربرت سينسر ، فنتشه هنا يخضع كغيره من المعاصرين للمركزية الأوروبية ونقطة البداية عنده في نقد البشرية هي المرحلة اليونانية ، فالمجال التاريخي لأخلاق السادة يبدأ مع العصر اليوناني الروماني الذي ينتهي بانتصار أخلاق العبيد أي أخلاق اليهودية والمسيحية فيتغلب العامة على الأرستقراطية الرومانية وتصير السيادة هنا بالضعفاء ثم تظهر أخلاق السادة من جديد مع عصر النهضة الأوروبية الذي تميز بالرجوع إلى المثل العليا اليونانية وهذا لا يدوم طويلا إذ ستنتصر أخلاق العبيد مرة أخرى.¹

لقد أعاد نيتشه صياغة جميع النظريات والمفاهيم حسب توافقها مع فكرته إذ تقوم محاولاته لفهم المنظومات الأخلاقية وتقييمها على هذه الفكرة إذ يفرض الناس الأقوياء والأصحاء و البارعون قيمهم على العالم مباشرة ومن دون تردد ، في حين يسعى الضعفاء على وجه النقيض إلى فرض قيمهم بطريقة مخادعة وملتوية وغير مباشرة من طريق جعل الأقوياء يشعرون بالذنب من صحتهم وقوتهم و غرورهم وكبريائهم.²

إن أخلاق العبيد تسعى في نظر نيتشه إلى التقليل من قيمة الفرد وتعزيز الخضوع والانقياد مما يعرقل الطاقات الإبداعية والفردية للإنسان ، وبدلا من ذلك دعا نيتشه إلى أخلاق السادة التي تشجع على التفرد والقوة الإبداعية وتحقيق الذات بشكل أكثر حرية وتقردا.

¹ المرجع نفسه ، ص 49

² جيل دلوز ، نيتشه والفلسفة ، مرجع سابق ، ص 136 .

يحلل نيتشه أخلاق العبيد وتتمثل عنده في الأخلاق المسيحية أساساً فيرى أنها تصدر جميعاً عن العجز والضعف وتكرسهما تكريساً ، فإذا كانت أخلاق السادة تقوم على التمييز بين الجيد والريء فأخلاق العبيد تعتمد على التمييز بين الخير والشر ، أخلاق السادة تقوم على البطولة والمقدرة والشهامة فكل هذه الصفات تميز النبلاء الأرستقراطيين الذين يمثلون السادة خير تمثيل ، فأخلاقهم تعبر عن الشعور بالاقتدار و الامتلاء والخير فيها يكون خيراً إذا عبر عن شعور الفرد بالقوة .¹

أخلاق القوة عند نيتشه هي مفهوم أساسي في فلسفته تمثل فكرة تحدي المفاهيم التقليدية للخير والشر والفضيلة ، ويركز نيتشه على قوة الإرادة والقدرة على تحقيق الذات كأساس للأخلاق مع اعتباره للقوة والتفوق كقيم ذات أهمية ، واستعباد الأخلاق التقليدية التي تعتبر الضعف والتواضع فضيلة معتبراً أن هذه القيم تمثل قمة الانحطاط ، وهي حجة رجال الدين والقساوسة ليفرضوا سيطرتهم ونفوذهم على الجماهير .

يعد مفهوم إرادة القوة محورياً في فلسفة فريدريك نيتشه ويكمن أفضل فهم لهذا المفهوم في أنه قوة لاعقلانية نجدها لدى جميع الأفراد ، ويمكن أن توجه نحو غايات مختلفة ، لقد وضع نيتشه على عاتقه مهمة استكشاف هذا المفهوم طوال حياته المهنية مصنف إياه على أسس ومبادئ نفسية أو بيولوجية أو ميتافيزيقية.²

إن إرادة القوة هي أصل الحركة والحياة ومصدر القوة للإنسان وهي التي تحركه وتوجهه نحو تحقيق مقاصده المختلفة ، ويرى نيتشه أن أخلاق العبيد أي أخلاق المسيحية متعارضة مع الطبيعة وقوانينها ، فأخلاق الشفقة والرحمة و الإحسان والعفو أخلاق تتنافى

¹ محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مرجع سابق، ص50

² برييه إميل ، تاريخ الفلسفة الحديثة، ت جورج الطرابشي ، ط1 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1984، ص 55.

مع قوانين الطبيعة وقوانين التطور، فالتطور والتقدم حسبه لا يتحققان إلا بإرادة الحياة والقدرة على ممارستها والطموح نحو تحقيق الأفضل و الأصلح.¹

فالإرادة عند نيتشه إذن فردية وهي تفضل ذاتها وتتكبر وجود الغير وتقسو على نفسها إذ ترى المخاطرة والألم ضرورة لها وهي من أجل ذلك تقلب جدول القيم المعروف رأساً على عقب فتصبح القوة هي المبدأ الأول² ، فمفهوم نيتشه للأخلاق هو مفهوم مثير للجدل فهو يؤمن بأن القوة والإرادة القوية هما جوهر الحياة وجزءاً من الطبيعة البشرية.

إن الإرادة المتميزة بقيمة أعظم هي التي تتصف بأنها إرادة على وجه أعظم، إنها الإرادة المتفوقة بقوة أعظم وبقدرة أكبر، فهي إذن تخضع لسائر الوظائف ولا تخضع هي لها، إنها إرادة القوة وإرادة السيطرة والنفوذ يقول نيتشه : إن إرادة الحياة أسمى إرادة وأقواها لا تعبر عن نفسها في التنازع التعس من أجل البقاء ، بل في إرادة القتال إرادة القوة والسيطرة³.

إن أخلاق نيتشه الحقيقية تحتاج إلى تحدي القيم التقليدية وتجاوز القيم البالية والتمتع بالقوة والإرادة والقدرة على تحقيق ما يريد دون تقيد بالمعايير الاجتماعية، فهو يدعو لفكرة مفادها أن هذه الفئة من الناس هم الذين يستطيعون خلق قيمهم الخاصة وتحديد معاني الخير و الشر بناء على إرادتها الشخصية .

إن أخلاق السادة تمتلئ بكل معاني القوة وسعادة التوتر والإحساس بالثراء القادر على المنح والبذل، فالرجل النبيل يساعد الضعفاء أيضاً ليس بدافع قوته العظيمة ،فهو يمجّد ذاته باعتباره رجلاً قوياً ويمارس قوته على ذاته، فيحسن اختيار أوقات الصمت و

¹ محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مرجع سابق، ص51.

² جوج زيناتي، رحلات داخل الفلسفة الغربية، دار المنتخب العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط 1، ص 64-69.

³ عادل العواء العمدة في فلسفة القيم ، مرجع سابق، ص 128.

الكلام¹ ، ومنه فالبدل للأخلاق السائدة أخلاق العبيد هو شي واحد إرادة الحياة وتحقيق الإنسان الأرقى ، الإنسان الذي يجسد في نظر نيتشه المثل الأعلى الأخلاقي ، إنه الإنسان الذي يثور على الأخلاق السائدة وأضاليلها ، يثور على الشفقة وعلى الرحمة و على الصبر والتواضع ، ويسعى إلى المزيد من الحيوية والمزيد من النمو بالذات والعلو بالحيوية ، إنه نزوع مستمر نحو الأفضل، نحو الأرقى والأصلح ، هنا ينخرط نيتشه كما هو واضح في الداروينية التي كانت لها الكلمة العليا في عصره، الداروينية التي تقول بالصراع من أجل البقاء وبالاصطفاء الطبيعي و البقاء للأصلح.²

ومجمل القول في ختام عرضنا الموجز للأخلاق عند نيتشه نصل الى استنتاج مفاده أن الأخلاق التقليدية قد فقدت قوتها ، وأنه من الضروري استبدالها بأخلاق تفرضها الفردية تتميز بالإبداع وقوة الشخصية .

المبحث الرابع: نقد هوركهايمر للأخلاق الكانطية:

يمكن أن نعتبر مدرسة فرنكفورت من أهم المدارس الفلسفية الاجتماعية النقدية إلى نصره التي تسعى إلى معالجة المشكلات الفلسفية المعاصرة ،وقد اتسمت هذه المدرسة بطابعها النقدي التحليلي؛ ولأن تطور هذه المدرسة قد مرّ بمراحل عديدة فسيكون تركيزنا على المرحلة الأولى التي يمثلها ماكس هوركهايمر في بداية العشرينات من القرن الماضي. إن مدرسة فرنكفورت هي تيار فلسفي و اجتماعي نشأ في ألمانيا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وقد تميزت بالنقد الاجتماعي والثقافي حيث سعت إلى فهم الديناميكيات الاجتماعية و السياسية والثقافية من منظور نقدي ، كما أثرت بشكل كبير في العلوم الاجتماعية والسياسية.

¹ پسري إبراهيم ، فلسفة الأخلاق (فردريك نيتشه) دار التنوير للطباعة، بيروت ط1، 2005، ص 127

² محمد عابد الجابري ، قضايا في الفكر المعاصر، مرجع سابق ، ص 51

1- الأثر الكانطي في مدرسة فرانكفورت.

إن الدارس للتراث الفكري الفلسفي والاجتماعي لمدرسة فرانكفورت من خلال المنتج الفكري لروادها من الجيل الأول، والوقوف على إسهاماتهم العلمية التي مست الكثير من المسائل الفلسفية والاجتماعية التي أفرزها الواقع والتي كانت المدرسة وروادها جزءاً منه سرعان ما يكتشف أن هذا المنتج يتضمن في طياته الكثير من أسماء الفلاسفة السابقين عن المدرسة وروادها، أو المعاصرين لها بمختلف انتماءاتهم المذهبية وتوجهاتهم الفلسفية، ويجد الدارس لهذا الميراث حضوراً قوياً لبعض الفلاسفة في فكر المدرسة وقد يجد لبعضهم حضوراً أقل ويعكس هذا الحضور مدى التأثير والتأثر الذي حدث بين هؤلاء الفلاسفة وفلاسفة مدرسة فرانكفورت النقدية، ولعلنا نجد أن النظرية النقدية مدينة أساساً في علاقتها مع الفلسفة الهيجلية والماركسية والكانطية.¹

ولأن الفلسفة النقدية هي إبداع إيمانويل كانط وقوام فلسفته، يمكن القول أن النظرية النقدية تمثل امتداداً لنزعة نقدية إلى قلب العالم الصناعي، وإن مدرسة فرانكفورت بمثابة امتداد لكانط مع فارق أساسي حيث ركز كانط على الفلسفة النظرية العقل المحض، فيما ركزت فرانكفورت على العقل العملي وعلى السلوك الإنساني وكيفية توجيه طاقات الفرد الذاتية إلى المسار الصحيح على نحو يدفعه للعمل في ظل شروط حياتية إيجابية، ولكننا نعلم أن كانط اهتم أيضاً بنقد ما سماه العقل العملي، فضلاً عن العقل المحض ولأن العقل العملي يهتم بدراسة السلوك الأخلاقي للفرد وما يفرضه من التزامات إزاء المجتمع فهل يعني ذلك أن النظرية النقدية مجرد اجترار للنقد الكانطي، وهذا ليس تماماً لأن كانط مرة أخرى ركز على الجوانب النظرية للأخلاق فاحصاً مبدأها الأساسي وغاياتها النهائية، ومن ثمة

¹ ثريا بن مسمية، مدرسة فرانكفورت دراسة في نشأتها وتياراتها النقدية، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية النجف العراق، ط1، 2020، ص82.

دار تحليله في فلك العلاقة بين الأخلاق والدين والميتافيزيقا خصوصا في نظريته الواجب الأخلاقي ، أما مدرسة فرانكفورت فركزت على الجانب التطبيقي للسلوك الاجتماعي وقدرته على دمج الفرد في مجتمعه على نحو يمنحه الفاعلية ويقيه الاغتراب.¹

ويمكن القول أن تأثير كانط على مدرسة فرانكفورت كان ملحوظا بشكل كبير ، حيث تأثر أعضاء المدرسة بأفكاره في الفلسفة والنقد الاجتماعي، لقد كانت الفلسفة الكانطية خاصة فلسفته الأخلاقية مرجعا مهما لأعضاء المدرسة في تحليلهم للمجتمع والسياسية ، واستخدموا مفاهيمه مثل الإنسانية العامة والتركيز على الأخلاق والعقلانية في تقديمهم للواقع الاجتماعي للثقافة الغربية الحديثة وخاصة في عصرهم الذي شهد تأثيرات كبيرة من الحروب العالمية والتحولات الاقتصادية والاجتماعية.

لقد كان لفلسفة كانط النقدية حضورا بارزا في فكر الفلاسفة المعاصرين ، وبالذات على فلاسفة مدرسة فرانكفورت ، فهذا الرجوع إلى الفلسفة الكانطية الهدف منه الوقوف على أثر هذه الفلسفة في فكر فلاسفة مدرسة فرانكفورت من الجيل الأول ، خاصة أن الفاصل الزمني بين كانط ومدرسة فرانكفورت يصل إلى حوالي القرنين ، ومن التعسف الادعاء بوجود علاقة مباشرة ووحيدة بين المفكرين المنتسبين إلى تلك المدرسة وبين فلسفة كانط وانطلاقا من هذا الفاصل فهل يمكن القول إن النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت قد استلهمت روح النقد من فلسفة كانط النقدية؟

نجد في كتاب «التنوير والنقد» منزلة كانط في مدرسة فرانكفورت للباحث «محسن الخوني» محاولة جادة للإجابة على هذا التساؤل ، وبحث حثيث لتتبع آثار الفلسفة الكانطية في فكر المدرسة، على الرغم من أن هذه المحاولة ستصطدم بأطروحة مقابلة تؤكد علي

¹ صلاح سالم . مدرسة فرانكفورت والنظرية النقدية مجلة الاهرام القاهرة، مصر، العدد الاول ، 6 فبراير 2024 .

هيجلية النظرية النقدية من نشأتها مع هوركهائمر وإلى فترة إعادة بنائها مع هابرماس فإننا ننوي الدفاع عن الفكرة القائلة : لقد تبين لنا أن النظرية النقدية مسكونة منذ نشأتها بهاجس الفلسفة النقدية.¹

لقد أسس كانط العمل النقدي على أساس متعال ، فدشن بذلك حدثه وحدائه كل سؤال فلسفي ، فعبء بذلك الطريق أمام الكثير من النظريات الفلسفية التي جعلت النقد منهاجاً و شعاراً لها ، وأصبحت العقلانية الكانطية الأرضية الفلسفية التي أقام عليها فلاسفة مدرسة فرانكفورت نظريتهم النقدية فاجتهدوا في بنائها وتوضيح أسسها ، وما تمسكهم بالعقل و ممارستهم للنقد إلا دليل على امتداد الفلسفة الكانطية في نظريتهم بوصفها المرشد الحكيم في فلسفة الحداثة ، فلو أجرينا مقارنة بين النقد كمفهوم رئيسي في النسق الكانطي والنقد كصفه جوهرية فإننا نجد أن نقد مدرسة فرانكفورت هو امتداد و إحياء لنقد كانط لأنها اتبعت الخط الذي شقه كانط عندما جعلت من نفسها نظرية نقدية في المقام الأول وليست نظرية في المعرفة و الحقيقة ، بل كان هدفها الوقوف أمام التيارات الفكرية و الفلسفية والتقليدية وإيجاد بديل نظري نقدي واضح المعاني.²

2- نقد هوركهائمر لفلسفة كانط الأخلاقية

هوركهائمر هو أحد رواد مدرسة فرانكفورت ، كان من بين النقاد الذين تناولوا نظرية الواجب بالنقد وركز على عدة نقاط ، فهو هوركهائمر انتقد مفهوم كانط للأخلاق بسبب التناقضات التي يراها فيه مثل التعارض بين الواجب وحرية الإرادة على سبيل المثال ، فكانط يصف الواجب بأنه شيء يجب على الإنسان أن يفعله بغض النظر عن رغباته

¹ ثريا بن مسمية مدرسة ، فرانكفورت ، مرجع سابق ، ص 84-85

² بن حجة عبد الحليم ، القيم الأخلاقية بين المطلق و النسبي ، مرجع سابق ، ص 117 - 118

الشخصية، بينما تشير حرية الإرادة إلى قدرة الفرد على اتخاذ القرارات بناء على رغباته الخاصة .

لقد قام هوركهايمر بنشر مقال سنة 1933 تناول فيه موضوع المادية والأخلاق وحدد من خلاله موقف النظرية النقدية من الأخلاق، لقد حاول هوركهايمر في مقاله البحث عن تطويرية القيم الأخلاقية ، ويؤكد بأن القيم السابقة التي كانت تستمد سلطتها من مصادر متعددة متعالية عن الإنسان قد اندثرت و حلت محلها القيمة الأخلاقية البرجوازية ، لكن الملاحظ على هوركهايمر أنه لا ينتقد فلسفة كانط إلا بعد أن يثني عليها ويمجدها ، فهي عنده الفلسفة التي رفعت من شأن الإنسان وتعتبر بحق عن كمال حقيقتها وأنها قد حاولت التنظير لقانون شامل يخضع له الجميع .¹

هوركهايمر يرى أن نظرية كانط حول الأخلاق تعتبر مبنية على العقل النظري أكثر من الواقعية العملية، إذ يقول إنها تركز كثيرا على الواجب والتزام الإرادة العقلية دون أن تأخذ بعين الاعتبار الظروف الاجتماعية والواقع المعيش للفرد، فالفرد عند كانط مقيد بالقوانين والقواعد العامة وهذا التقييد يحد من حريته الفردية ويمنعه من اتخاذ قرارات أخلاقية حرة.

يؤمن كانط بوجود مبادئ أخلاقية مطلقة يجب الالتزام بها في كل حالات القرار الأخلاقي، أما هوركهايمر فالقواعد الأخلاقية عنده ليست مطلقة وثابتة بل تتغير وتتطور مع تغير وتقدم المجتمعات.

يرى هوركهايمر أن الأمر المطلق يعتمد على فرضيات يرى ومفاهيم لا يمكن تحقيقها أو تثبيتها بطريقة مطلقة ، ويشير إلى أن الأمر المطلق في نظرية كانط قد يبقى

¹ المرجع نفسه ، ص 107

غامضا وغير قابل للتحديد بشكل دقيق و ملزم ، فهو يرى أن هذا غير كاف ليكون أساسا أخلاقيا ؛ حيث إن السياق والتاريخ والخلفيات الثقافية تؤثر في كيفية فهمنا للأمور ، وتشكل جزءا أساسيا من التفاعل مع العالم من حولنا .

لقد أعجب هوركهائمر بفلسفة كانط الأخلاقية واعترف بفضلها في تناول مسائل فلسفية لم تطرح من قبل ، كما كانت آراءه الأخلاقية والسياسية ونظرياته الاجتماعية عن الدولة و الفن والدين والحق والعلم محل إعجاب، إلا أنّ هذا التثمين لأخلاق كانط لم يمنع هوركهائمر من توجيه عدة انتقادات له يمكن أن نلخصها في النقاط التالية :

- ركز هوركهائمر في نقده للنظرية الأخلاقية الكانطية على صورية القيم الأخلاقية ومثالياتها المتطرفة ، واستبعادها للعوامل المادية والتاريخية التي من شأنها أن تؤثر على مسار القيم الأخلاقية ، ويعود السبب في ذلك إلى أنه ينظر إلى هذه الفلسفة على أنها فلسفة مثالية تستمد سلطتها من مصدر متعال عن الإنسان .¹

- يرى هوركهائمر أن الأخلاق التي دعا كانط إلى الالتزام بها والعمل وفقها هي أخلاق صورية محضة، تبتعد كل البعد عن الواقعية وتفتقر إلى القدرة على التعامل مع التجارب الواقعية والحياة العملية بشكل فعال.

لقد رفض فلاسفة النظرية النقدية الأخلاق الكانطية وهذا الرفض يأتي من منطلق مادي بحت يعطي ويمنح للعوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المكانة الكبرى والدور الأهم في تأسيس القيم الأخلاقية؛ فلا يمكن للمؤثرات المادية التي باتت تتحكم في حياة الأفراد أكثر من أي وقت مضى ألا تؤثر في الإنسان وأن يعيش منفصلا عنها ، فكثيرا ما لاحظنا أن الربح الاقتصادي أصبح هو القانون الذي يتحكم في حياة الناس ، ويظهر ذلك

¹ المرجع نفسه ، ص 107

جليا لدى الفلاسفة البرجوازيين الذين يرون أن المجتمع عبارة عن شركة كبرى ويجعلون من السعادة الفردية أساسا ومعيارا للقيم الأخلاقية ومن المنفعة دافعا للخير .

– يواصل هورركهايمر نقده لصورية الأخلاق الكانطية واستشهد بالمقولة الساخرة « المواطن الذي يفوت على نفسه ربعا فقط لأنه يستند إلى الدافع الكانطي المتمثل في احترام صورة القانون لن يكون مستثيرا بل متطرفا ومعتوها»

ويفهم من استشهداد هورركهايمر بهذه المقولة ضعف ومحدودية الأمر القطعي وعجزه عن تأسيس قيم أخلاقية في ظل سيطرة الدوافع الطبيعية، وكأن مستقبل الفلسفة الصورية بدأ يتلاشى ويشهد تراجعاً أمام سيطرة الفلسفات الاجتماعية المادية ،وهذا معنى الانتقال من مقولة العقل كميدان طرحت داخله الفلسفة المثالية أهم مواضيع بحثها و الأخلاق إحداها إلى مقولتي التاريخ والمجتمع اللتين قامت عليهما أقرب فلسفتين من النظرية النقدية الأولى ونعني بذلك الهيغلية والماركسية .¹

وإجمالاً يمكن أن نقول أن نقد هورركهايمر لأخلاق كانط ينطوي على عدة جوانب رئيسية:

– هورركهايمر انتقد كانط لأنه وضع الأخلاق في مستوى مثالي بعيد عن الواقع الاجتماعي، فهو حسب رأيه أسس الأخلاق على مبادئ مجردة وغير واقعية لا تأخذ في اعتبارها الظروف الاجتماعية والتاريخية التي تؤثر على الأفراد.

– انتقد هورركهايمر التركيز القوي على العقلانية في فلسفة كانط الأخلاقية ، فبالنسبة له كانط يبالغ في أهمية العقل كأداة لفهم الأخلاق بينما يرى هورركهايمر أن الأخلاق يجب أن تأخذ في اعتبارها التفاعل الاجتماعي و السياق التاريخي.

¹ بن حجة عبد الحليم ، المرجع نفسه ، ص 108

- هوركهايمر رأى أن أخلاق كانط تغفل الجوانب الإنسانية الحقيقية للعلاقات بين الناس، فبالنسبة له الأخلاق يجب أن تتعامل مع قضايا العدالة والظلم والسلطة والسلطة وهي جوانب لا يعالجها كانط بشكل كاف.

في المجمل هوركهايمر يرى أن أخلاق كانط تظل بعيدة عن القضايا الاجتماعية الحقيقية ولا تعالج التعقيدات التي يواجهها الأفراد في حياتهم اليومية.

خلاصة الفصل الثاني :

نقد هيجل و شوبنهاور و نيتشه و هوركماير لأخلاق الواجب عند كانط يعكس تباينا في الآراء حول مفهوم الأخلاق وتطبيقها ، فهيجل يرى أن الأخلاق لا يمكن أن تكون مجرد قواعد ثابتة بل يجب أن تأخذ في اعتبارها التاريخ والتطور الاجتماعي ، أما بالنسبة لشوبنهاور فهو ينتقد أخلاق الواجب لكونها تتجاهل العواطف الإنسانية وتعتبرها غير ملائمة لطبيعة الإنسان التي تتسم بالأنانية والتمركز حول الذات ، في حين أن نيتشه يعارض أخلاق الواجب لأنها في رأيه تغير الفرد وتخفق إرادته الحرة ، ويعتبرها انعكاسا لقيم الضعفاء التي تعارض القوة والإبداع الفردي ، أما هوركماير فيرى أن أخلاق الواجب عند كانط تتجاهل البعد الاجتماعي والسياسي للأخلاق، إذ يعتقد أن الأخلاق يجب أن تكون مرتبطة بالنقد الاجتماعي وإعادة تقييم القيم الاجتماعية لتحقيق العدالة .

كل من هؤلاء الفلاسفة يقدم نقدا يسلط الضوء على محدوديات أخلاق الواجب ويقترح رؤى بديلة تهدف إلى تحسين فهمنا للأخلاق و تطبيقاتها في المجتمع.

الفصل الثالث

تأثيرات نظرية الكونية الكانطية في الفلسفة المعاصرة

❖ المبحث الأول: تأثيرات نظرية الكونية الأخلاقية في الفلسفة الألمانية.

❖ المبحث الثاني: تأثيرات الكونية الأخلاقية الكانطية في الفلسفة الأمريكية

❖ المبحث الثالث: تأثيرات الكونية الأخلاقية الكانطية في الفلسفة الفرنسية

❖ خلاصة الفصل الثالث

تمهيد:

تعد فلسفة كانط الأخلاقية من أهم المحطات في تاريخ الفلسفة ،فهو أراد التأسيس لنظرية تركز على مفهوم الواجب والمبادئ الكونية فغير بذلك مسار الفكر في ألمانيا بل في العالم بأسره ،وفي هذا الفصل سنتعرض لامتدادات نظريته في الفلسفة الألمانية وكيف كان لها حضور أيضا في الفلسفة الأمريكية والفرنسية ؛حيث أدى الاهتمام بأفكاره إلى ظهور مدارس مختلفة ونظريات جديدة جعلت من نظريته المنطلق لها ، وألهمت العديد من الفلاسفة في تطوير أفكارهم وساهمت في تشكيل الفكر الفلسفي الغربي بشكل عام ، فكيف أثرت المبادئ الأخلاقية الكانطية في تطوير نظرية المناقشة ؟ وماهي التحديات التي تطرأ عند محاولة دمج هذه المبادئ مع مفاهيم العدالة المعاصرة ؟ وكيف استفاد بول ريكور من أفكار كانط في وجود التحديات التي تواجهه المجتمعات المعاصرة

المبحث الأول :تأثيرات نظرية الكونية الأخلاقية في الفلسفة الألمانية.

لقد بلغت فلسفة تحافظ الأخلاقية ذروة انتشارها في عصرها وراحت تمتد إلى العصور اللاحقة أي إلى ما بعد الحداثة، فنجد أن لها رؤى وامتدادات كثيرة على من جاء بعده من الفلاسفة ولم يقتصر هذا الامتداد على الفلسفة الألمانية كـ يورغن هابرماس، وكارل أوتأبل ،بل امتد إلى الفلسفات الفرنسية والأمريكية التي اتخذت من هذه الفلسفة مرجعية فكرية وقاعدة أساسية لتطوير أفكارها.

1- يورغن هابرماس وأخلاق المناقشة : يعتبر الفيلسوف الألماني كانط من الفلاسفة الذين تركوا بصمة واضحة في الفلسفة المعاصرة وخاصة فلسفة الأخلاق ،ويتجلى هذا الأثر في إتيقا المناقشة التي جاء بها يورغن هابرماس والذي تعود أصول نظريته إلى الفلسفة الكانطية ،فقد أخذ عنه فكرة الواجب وطورها إلى إتيقا المناقشة ؛أي أنه نقل الأخلاق من الجانب النظري إلى الجانب العملي لتكون أكثر فاعلية ومعايشة للواقع .

وقد أطلق هابرماس تسمية "إتيقا المناقشة" في سبعينيات القرن الماضي في نظريات متعلقة بالحقيقة، لكن الظهور الحقيقي لهذه العبارة أو النظرية كانت في كتابه " الأخلاق و التواصل" عام 1983 وتحديدا في برامجية للتأسيس بالعقل إتيقا المناقشة ثم ظهرت بشكل جلي وبصورة واضحة في كتابه إتيقا المناقشة سنة 1991 .

إن فلسفة الأخلاق عند كانط عرفت بصورتها وطابعها النظري، و هابرماس حاول أن ينقلها ويطورها ويجعلها متكاملة أكثر لما ينقلها من معالجة النظري إلى التطبيقية، ولشدة تأثيره

بكانط وأخذه عنه اعتبره الكثير من الفلاسفة الوريث الشرعي له، وأيضا مدرسة فرنكفورت لأنه كان يهتم بالحدث التي في منظوره بناء ناقص ولم يجهز.¹

لقد فتح كانط على نحو من الأنحاء حقل الأخلاق النظرية المعاصرة، العقل يقدم مقياسه الكامل في دائرة الأخلاق النظرية، ويرسم ما ينبغي فعله بصرف النظر عن كل ممارسة نظرية وكل معرفة ميتافيزيقية أو نظرية.²

وتستطرد جاكين روز في كتابها "الفكر الأخلاقي المعاصر قائلة: إذن يجعلنا هابرماس ندرك مبدأ جديداً تمتد جذوره إلى فلسفة كانط والأساس العقلاني، فقد شغلت هذه النظرية منزلة كبيرة في التفكير المعاصر،» في اللغة والتفاهم المشترك ستجد الأخلاق النظرية المعاصرة أخلاق هابرماس أرض تلك الأخلاق مادام الاتصال الشاق يقدم طراز تخلق حريص على أن عمل عبر التبادل وغياب العنف، ولهذا فإن القضية الأولى التي ينبغي أن توجه الأخلاق النظرية هي العقلانية الاتصالية الهادفة إلى تفاهم الفاعلين³

ومنه نستنتج أن نظرية كانط في الأخلاق الميتافيزيقا كان لها الأثر البالغ في نظرية الاتيقا التي طورها هابرماس فيما بعد فهو قد استفاد من مفاهيمه حول الواجب والاخلاقية وحاول تطويرها في نظرية المناقشة، هذه النظرية التي تركز على أهمية الحوار العقلاني كمفتاح لتحقيق التفاهم والاتفاق المشترك بين أفراد المجتمع، حيث يشدد هابرماس على أن التفاعل في المناقشات يجب أن يكون قائما على مبادئ الحوار الصادق و التبادل المفتوح للآراء وهو ما يتوافق مع المبادئ الكانطية المتعلقة بالعقلانية والاحترام المتبادل.

¹ علي عبود المحمداوي ، مجموعة الأكاديمين العرب، موسوعة الأبحاث الفلسفية ، ج 2 ، دار الأمان للنشر الرباط ،

ط1، 2003 ، ص 1478

² جاكين روز، الفكر الأخلاقي المعاصر ترجمة عادل العوا عويدات للنشر والطباعة ، بيروت، لبنان ، ط 1، 2001 ، ص 48، 49 .

³ المرجع نفسه ، ص 49

2- تطور نظرية المناقشة

لقد عُرف هابرماس بوصفه صاحب نظرية الفعل التواصلي ولديه العديد من المقالات حول أخلاقيات الخطاب ومؤلف موسوم بـ : "بين الحقائق والمعايير".

في هذه المؤلفات تطورت نظريته الأخلاقية الاجتماعية وهو يعتبر رائد مدرسة فرانكفورت وأعماله ما هي إلا ثمرة من ثمرات الجيل الأول لهذه المدرسة ،و بحسب هابرماس فإن مفهوم القضاء العام هو مساحة يشارك فيها الناس كأنداد في نقاش عقلاني طلباً للحقيقة والصالح العام ،والانفتاح والشمولية والمساواة والحرية هي سمات هذا النقاش ، نقاش لا يقيد قيد طلباً للحقيقة والمصلحة العامة وفي ذلك يقول أبو النور حمدي أبو النور: " هناك نظام أخلاقي ضمني يحاول هابرماس الإتيان به وهي فكرة لم يكن لها الوقع الحسن عند أنصار ما بعد الحداثة، فكيف يمكننا مجرد التفكير بنظام أخلاقي يسري على جميع البشر بشتى مشاربهم وأنماط حياتهم ¹ .

فإتينا المناقشة إذن إتينا كونية واجباتية لا تولي اهتماماً لأمر ومشكلات الحياة بل ينصب اهتمامها على المشكلات الأخلاقية بشكل خاص والتي يطبق من خلالها مبدأ الكونية الذي يراعي المصلحة العامة المشتركة ،ومنه يمكن القول أن النقاش الأخلاقي يتميز بالشمولية والعمومية و التداولية بين الأفراد. يقول هابرماس « ينبغي على من يريد النظر في أمر من الأمور من الزاوية الأخلاقية ألا يدع نفسه يُفلت من سياق ما بين الأشخاص المشاركين في الاتصال والذين يخرطون في علاقات شخصية بينهم [...] ،ونحن بتجاهلنا سياق التفاعل المتداخل بوساطة اللغة وكذلك منظور المشارك بوجه عام

¹ أبو النور حمدي أبو النور حسن: بورغن هابرماس. الأخلاق والتواصل دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت لبنان د. ط

لأنحظى بوجهة نظر حيادية بل نبلغ رفع الحواجز كلياً وحسب المنظورات الفردية للمشاركين¹.

فإتقنا المناقشة إذن تكون الوعي الإنساني ببيئذاتيته وسعاداته من حيث هو إنسان، أي في علاقاته مع الآخر وبذلك تكون الإتقنا من حيث هي نظرية دراسة المبادئ التي تقود العمل الإنساني في كل حالاته وظروفه، فهي إذن جملة المبادئ المحددة للكيفية الجيدة للحياة والتعامل مع الآخرين.

إن التواصل عند هابرماس له دلالات عديدة، فهو تواصل بين المفاهيم وتواصل بين الأفراد و تواصل مع الحداثة، ولذلك أخذ هابرماس على عاتقه مهمة التأسيس لعقلانية التواصلية التي تبدأ كنظرية فلسفية وتنتهي كنظرية سياسية، وهكذا يجب فرض توافر للتعميم الكلي في دائرة الأخلاق النظرية وفي الواقع، فكل اتصال يفترض مسبقاً وجود تفاهم بين الأعضاء، مبدأ تعميم كلي يلزم بنيات المناقشة بالذات ولذا فإن المناقشة تتجلى في إهاب عقل عملي وتفتح السبل أمام ما يبدو صالحاً للجميع².

يرى هابرماس أنه لا يمكن لأي معيار أن يدعي الصلاحية إلا إذا تمكن جميع الأشخاص المعنيين من الاتفاق عليه فهو يحاول من خلال نظرية المناقشة أن يضيفي على القانون الأخلاقي صفة الشمولية و العمومية وبذلك تتحرر الأخلاق من طابع الفرد الشخصية لتكسب طابعاً عاماً كلياً يشمل جميع أطراف الإنسانية.

يجمع هابرماس إذن الأخلاق النظرية ومبدأ الاتصال الشاف، فالعقل الاتصالي بوصفه قدرة بين الأشخاص عاملة بحسب قواعد شافة وحيادية، هو الذي يسود مقارنة

¹يورغن هابرماس أخلاق المناقشة ومسألة الحقيقة ترجمة عمر مهيل - الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف، الجزائر ط 1، 2010، ص7.

² جاكليين روز، تاريخ الفكر المعاصر، مرجع سابق، ص77

هابرماس وهي ترجع إلى معايير التعميم الكلي للخطاب الذي يتيح بلوغ حقل الأخلاق النظرية.¹

3- مبادئ إتيقا المناقشة :

تقوم إتيقا المناقشة على مبدأين مهمين وهما مبدأ المناقشة ومبدأ الكونية، وهذان المبدأان يبرران الأسس التي تبنى عليها، والمعايير التي يقوم عليها هذان المبدأان هي ليست معايير جديدة بل هي موجودة مسبقاً.

1- مبدأ الكونية وقد عرفه هابرماس بقوله: « يجب على كل معيار ذي صلاحية أن يستجيب للشرط الذي بمقتضاه يمكن لكل النتائج والآثار الثانوية التي هي بصورة متوقعة متأتية من واقع كون المعيار قد تمت ملاحظته على نحو كوني بقصد تلبية مصالح كل واحد من الأشخاص أن تكون مقبولة من طرف كافة الأشخاص المعنيين».²

وهذا يعني أن إتيقا المناقشة ذات طابع كوني وخاصة عالمية، فلا يمكن القول عن هذا المبدأ الأخلاقي أنه كوني إلا إذا تجاوز ثقافة مجتمعات معينة .

ومن خلال هذا المبدأ سعى هابرماس إلى تأسيس مشروع أخلاقي كوني تقوم مقاصده على مجموعة من الافتراضات الضرورية للمناقشة؛ إذن إن مصدر المعايير الأخلاقية والاجتماعية لم يعد الذات التي تفكر بشكل أحادي بل إن هذه المعايير باتت تحفظ مصالح الجميع عن طريق وضع مجموعة من الإجراءات الضرورية لعملية النقاش التي تكون الحجة الكلمة الفاصلة فيها.

¹ جاكين روز، تاريخ الفكر الاقتصادي، مرجع سابق، ص 50

²J. Habermas: Morale et communication, conscience –1 morale et activité communicationnelle, traduit par-Bouchind homme, les editions de cerf, paris, 1986, PP86-87.

2-مبدأ المناقشة : وهو المبدأ الثاني من مبادئ المناقشة ويعرفها هابرماس بقوله :

«لا يمكن لأي معيار أن يدعي الصلاحية إلا إذا تمكن جميع الأشخاص المعنيين من الاتفاق عليه أو يمكنهم الوصول إلى ذلك بوصفهم مشاركين في مناقشة عملية حول صلاحية هذا المعيار»¹.

فهابرماس هنا يؤكد على مشاركة جميع الفاعلين في اختيار المعايير المناسبة لأسس هذا الحوار البيّنذاتي، وليس بوسعهم الاتفاق إلا إذا احترّموا جميعاً شروط المناقشة التي لخصها في حرية التعبير عن الرأي ، الابتعاد عن كل ضغط وإكراه، الانتصار دائماً يكون لصاحب الحجة الأفضل والأقوى وغيرها من الشروط التي لا تستقيم المناقشة إلا بها.

• خصائص إتيقا المناقشة :

تتميز إتيقا المناقشة بجملة من الخصائص يمكن القول أنها مستوحاة من الأخلاق الكانطية ويمكن إجمالها فيما يلي :

- 1-إتيقا المناقشة إتيقا كونية واجباتية تقوم على معايير مطلقة.
- 2-أنها عامة وكلية ومتعالية.
- 3-ضرورية للوصول إلى الحقيقة في العالم الموضوعي.
- 4- أنها صورية يقوم فيها الأمر المطلق أو الواجب الكانطي مقام مبدأ التبرير.
- 5-ترتكز على البعد اللغوي كأداة ومادة موضوعية، فهي تبحث فيما يمكن أن تنتجه اللغة من فعل حسب ظوابطها².

¹J. Habermas : Ibid, P87

² علي عبود المحمداوي ، الإشكالية السياسية للحدثات من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل ،مرجع سابق ص 215

ويمكن القول أن أخلاقيات الحوار هي الأساس المعياري لفلسفة هابرماس وهي التي تطور الأفكار الميزة للعلاقة والشمولية والمساواة والتضامن والعدالة، فالحوار الأخلاقي عنده يهتم بالسعادة الفردية وصالح الجماعات وعلى تغيير للقيم وفي ذلك تقول جاكين روز.

أن هذا المشروع الأخلاقي النظري يرجع إلى كانط مع تميزه عن المشروع الكانطي تميزا كليا أنه في الواقع نوع من بديل عن الأمر القطعي، ذلك الذي يقترحه هابرماس في مبدئه للتعميم الكلي.¹

• مراحل إتيقا المناقشة :

تتعلق أخلاقيات النقاش التي طورها هابرماس بكيفية إجراء المناقشات بطريقة عادلة وفعالة ،ويمكن تلخيص المراحل الرئيسية لأخلاق المناقشة كما يلي:

أ - مرحلة ما قبل الإتفاقية :

يشير هابرماس أنه يجب أن تتم المناقشات في ظل ظروف مثالية تضمن الشفافية والمساواة بين المشاركين ،وهذا يعني أن تدرك جميع الذوات الأفعال والدوافع باعتبارها تنتهي إلى مستوى واحد للواقع.

ب - المرحلة الإتفاقية :

يتطلب النقاش الجيد حسب هابرماس الالتزام بعدد من المبادئ مثل الصدق ،والاحترام المتبادل ،والاهتمام بالمصلحة المشتركة؛ حيث يمكن أخذ الدوافع بالاعتبار وبمعزل عن النتائج المباشرة للفعل.

¹ جاكين روز ،الفكر الأخلاقي المعاصر، مرجع سابق ، ص 78

ج - مرحلة ما بعد الإتفاقية :

يجب على كل من يشارك في إتيقا النقاش تقديم أسباب ومبررات واضحة لآرائه بهدف الوصول إلى توافق جميع الأطراف، وأن تكون الحجج المقدمة منطقية ومتسقة بحيث يمكن اختيارها ومناقشتها بشكل عقلاني.¹

ومجمل القول أن فلسفة كانط قد ساهمت في تشكيل الأسس النظرية لنظرية المناقشة عند هابرماس ؛حيث استلهم مفهوم العقلانية الكانطية ليبني على أساسه نموذجاً للحوار الذي يهدف إلى التواصل ،وإلى توافق اجتماعي من خلال المناقشة العقلانية المفتوحة.

4-تجليات الكونية الكانطية في الفلسفة الألمانية - كارل أوتو آبل نموذجاً- :

كارل أوتو آبل Karl otto Apel (1922-2017) فيلسوف ألماني يعتبر من مجددي الفلسفة الكانطية وذلك عن طريق ربطها بلغة الاتصالات الحديثة، كما تعتبر فلسفته من الفلسفات التي تعرف انتشاراً واسعاً في الفكر الغربي المعاصر خاصة بعد مشروعه التحويلي الذي شمل عدة جوانب فكرية وفلسفية مختلفة ومتباينة جعلت منها فلسفة قارية ، وقد شغلت الفلسفة الإيتيقية حيزاً واسعاً من الاهتمام الفكري لآبل خاصة بعد قراءته للإرث الكانطي² ، وفي ذلك تقول جاكليين روز «إن آبل إذ يرقى إلى الشرط الأقصى للصحة والدلالة إنما يتخذ كانط مرجعه»³

وقد ربط آبل حديثه عن الإيتيقا بجملة من المفاهيم الأساسية الراهنة التي تمثل حجر الزاوية في الفلسفة المعاصرة متمثلة في النقاش ،التواصل ، خطاب العلم، فما هي

¹ علي عبود المحمداوي ، الإشكالية السياسية للحدث من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص 189

² بورزاق يمينة ، قراءة في الفلسفة التحويلية لكارل أوتو آبل الفلسفة الإيتيقية نموذجاً،مجلة المعيار ، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة ، م ج 26، العدد 5،السنة 2022 ، ص 146.

³ جاكليين روز، الفكر الأخلاقي المعاصر، مرجع سابق ، ص 72.

المعايير والأسس التي استند عليها آبل في التحول من الأخلاق إلى الإتيقا خاصة في عصر التقدم العلمي؟ وأين تظهر تجليات حضور كانط في فلسفته ؟

1- النظرية الأخلاقية الكانطية وتأثيراتها على فكر آبل :

تأثر كارل أتو ابل بفلسفة كانط فأعاد قراءتها من جديد واعتبر المشروع الكانطي أرضيته لتجسيد السلام ،فهو يعتبر كانط الخلفية والمصدر الرئيسي لها وقد حاول استخلاص منطلقات الأخلاق الملائمة للوضعية الراهنة ، والمتأمل في قراءة آبل لموروث كانط يتوسم دعوة إلى تأسيس أخلاق كونية ، استعمل فيها آبل في تجاوز الكوني في أخلاق كائط البراغماتيك المتعالية قصد تخليصها من عوالم الميتافيزيقا ثم نقلها إلى المجال الاجتماعي والمشاركة مع الغير ، وهو بذلك قد منح للأخلاق معنى جديدا وتصورا مغايرا للمفاهيم في مجتمع ما بعد الحداثة.¹

إن المنحى الذي سارت عليه النظرية النقدية لم يخرج عما رسمه كانط ، فهي نظرية نقدية تهتم بالجانب الاجتماعي العملي في السلوكات الإنسانية ، وكان رواد هذه المدرسة يتبعون خطوات كانط في أكثر من نقطة في ربط التنوير بالعقل وفي ممارسة النقد لتجاوز ما يعترض العقل من أزمات .²

2-نظرية الإتيقا الترنسند نتالية عند آبل :

أراد آبل في كتاب إتيقا المناقشة أن يرسم لنا خارطة الطريق بما يسمى بنظرية إتيقية ترنسند نتالية تمكن الباحثين في هذا المجال من الاسترشاد بها و بذلك وضع مجموعة من الشروط لهيكلتها العامة :

¹ بن محمد توفيق، كارل أتو ابل، قارئاً لكانط ، القراءة التاسعة لكانط . دراسة تحليلية من وجهة نظر البراغماتيك المتعالية ، مجلة الباحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر ، مج5 ، ع 01 ، 2017 ، ص168 .

² بن حجية عبد الحليم، القيم الأخلاقية بين النسبي والمطلق ،مرجع سابق ،ص 119.

- 1- ضرورة وجود إتيقا خاصة بالحياة السعيدة فهي تبقى مهمة لأي توجه غائي عقلي.
 - 2- على إتيقا المناقشة أن تؤسس لإتيقا جوهرية، تنطوي تحت لوائها جماعات إنسانية مختلفة .
 - 3- على إتيقا المناقشة أن تبتعد عن المؤثرات الأخلاقية المصطنعة و الابتعاد عن المفاهيم التي تتناقض مع وضعها الخاص ، فالشفقة والتعاطف والحب والكرم لا يمكن النظر إليها على أنها مبادئ صالحة لإرساء أخلاق معينة.¹
- و من هنا يتضح أن آبل قد حاول الاجتهاد في تغيير فلسفة كانط المتعالية وطرحها طرعا يتوافق مع التحديات المعاصرة.
- لقد حاول كانط في كتابه "نقد العقل الخالص" الإجابة عن السؤال: كيف يمكن للميتافيزيقا أن تصير علما ؟ لكن السؤال الأساسي عند بل هنا ما معنى أن يكون الإنسان كائنا أخلاقيا ؟ هل يمكن قيام إتيقا عقلية في زمن السيطرة العلمية؟²
- لقد سعى آبل إلى قراءة جديدة للفلسفة الكانطية وذلك بالبحث والدراسة وطرح مواضيع جديدة متميزة تماما عن الفلسفات السابقة ،وهنا نجد نفس منطلقات كانط وما حاول التجديد فيه هو تغيير فلسفة ترنسندنتالية إلى تداولية لسانية حاجية.
- وعليه يعتقد آبل أنه وجد التأسيس النهائي للإنسان الأخلاقي وأيضا للإنسان العاقل.³

¹ يورغن هابرماس، أخلاق المناقشة ومسألة الحقيقة، مرجع سابق ص 10-11

² يورغن هابرماس، المرجع نفسه، ص 11

³ محمد بو حجلة، مشروع تحويل الفلسفة إلى تداولية ترنسندنتالية عند آبل، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية،

الشلف ، عدد 19 ، 2018، ص 218

3-الإتيقا التداولية عند كل من آبل وهابرماس :

يعتبر الفيلسوفان الألمانيان المعاصران يورغن هابرماس وكارل أوتو آبل من فلاسفة مدرسة فرانكفورت الذائعة الصيت ،ويعد الحوار والنقاش الذي جرى بينهما قمة التفكير الفلسفي المعاصر فرغم أنهما يشتركان في صياغة مشروع فلسفي معاصر يعرف بإتيقا النقاش وكذا انتمأؤهما إلى نفس المدرسة ،إلا أننا نلمس إختلافا وتباينا في الأفكار بينهما ومداره حول أسس وافتراضات المحاجة .¹

يؤكد هابرماس أن هناك علاقة وطيدة تربط بين فكره وفكر آبل ،ويذكر أن آبل هو الصديق الأقرب من أصدقاء الجيل الثاني من فلاسفة النظرية النقدية والفلسفة التواصلية وفي ذلك يقول: « أؤكد أن صديقي كارل أوتو آبل كان له الدور الأكبر في توجيه عملي الخاص أكثر من أي زميل آخر،أومع ذلك فهناك خلافات قائمة بيننا فيما يخص التأسيس النهائي».²

ويمكن القول أنه من الصعوبة فهم فكر أحدهما دون المرور بفكر الآخر رغم اختلاف مشروعيهما التداولية الترنسندنتالية عند آبل والتداولية الشاملة عند هابرماس .³

وعلى الرغم من إتفاقهما حول ضرورة إتيقا النقاش فإنهما اختلفا في المنهج الذي يؤدي إلى تطبيق هذه الإتيقا في الواقع الاجتماعي والسياسي وحدث بينهما صراع فلسفي؛ حيث انتقد كل منهما الآخر ولمس كل منهما تناقضات في فكر الآخر.⁴

¹ محمد بوحجلة، الحوار الفلسفي بين يورغن هابرماس وكارل أبو ابل حول تطبيق إتيقا النقاش، مرجع سابق، ص 217

² يورغن هابرماس، إتيقا المناقشة ، مرجع سابق، ص6

³ المرجع نفسه، ص5

⁴ محمد بوحجلة الحوار الفلسفي بين يورغن هابرماس وكارل أوتو آبل، مرجع سابق، ص 1

إن الطريق الذي أراد كل من هابرماس و آبل شقه من خلال تداوليتهما التي تبنياها يظهر جليا انحيازهما للإرث الكانطي , لقد حاول كل من الفيلسوفين إضفاء الصبغة الكونية على القيم الأخلاقية ومن هنا نستنتج أن إتيقا الحوار تسعى جاهدة إلى إعادة بناء إتيقا كانط.¹

وهكذا يتضح أنه على الرغم من انتماء كل من هابرماس وآبل إلى التراث الفكري لمدرسة فرانكفورت، ورغم اتفاقهما في المبادئ والأسس التي يقوم عليها مشروع التحول الفلسفي من فلسفة الوعي إلى فلسفة التواصل الذي حدث في ألمانيا في الربع الأخير من القرن العشرين فإننا لاحظنا حدوث صراع فكري بينهما، ووجود اختلافات عديدة يمكن إجمالها في ما يلي:

قام آبل بإثبات التأسيس النهائي لإتيقا النقاش فاعتبرها افتراضا للتحول اللساني، فاللغة عنده هي أساس العلاقة مع الغير، بينما قام هابرماس بتأسيس مبدأ التداولية الشاملة على افتراضات المحاجة ولم يعط لهذا المبدأ تأسيسا نهائيا .

السياق العام لفلسفة هابرماس يدور حول التداولية الشاملة بينما السياق والهيكل العام الذي تجري فيه فلسفه آبل هو التداولية الترנסدنتالية، جعل آبل فلسفة الحق جزءا من فلسفة الأخلاق، بينما ميز هابرماس بين فلسفة الحق وفلسفة الأخلاق .

تسعى فلسفة هابرماس إلى إعادة البناء بينما يمكن حصر فلسفة آبل في النزعة التأسيسية.²

¹ بن حجية عبد الحليم , قيم الاخلاقية بين النسبي والمطلق , مرجع سابق , ص 120

² محمد بوحجلة الحوار الفلسفي بين يورغن هابرماس و كارل أتو ابل، مرجع سابق ص 4

وما يلاحظ على هابرماس وآبل حتى وإن اختلفا في مرجعية المعايير التي يقوم عليها مبدأ المناقشة فهما قد استقيا أفكارهما من المرجعية نفسها (الكانطية) وقد حاولا إيجاد صياغة جديدة لها مؤكدين على ضرورة إجراء التحويل التداولي على مشروعهما.¹

ويمكن القول أن كل من هابرماس وآبل يتفقان في نقاط عديدة منها :

- 1- الانطلاق من المرجعية الفكرية ذاتها وهي الأخلاق الكانطية وبالضبط من الأوامر المطلقة التي تعد الأساس لفلسفتها والنواة الصلبة لها.
- 2- اعتبارهما الأخلاق غاية من الغايات لا وسيلة أو أداة نقيس بها أفعال الإنسان.
- 3- العودة إلى انتقادات هيغل للأخلاق الكانطية وعدم تجاهلها واتخاذ دروسه كنقطة محورية في بناء أخلاق المناقشة التواصلية ،ومن البديهي أن تحولاً مهماً في المنظور سيحدثه هابرماس وفي الواقع فإن الأخلاق النظرية أخلاق المناقشة ستؤسس لدى هابرماس بعون ذرائعية كلية، بينما يشيد آبل فلسفة عقلية من طراز كانطي.²

من خلال عرضنا لآراء هذين الفيلسوفين نجد أنهما قد أوليا للفلسفة الكانطية أهمية كبيرة فكان لها حضور و تجلٍ في فلسفتها ،وامتداد واسع في سياقات تواصلية اجتماعية تشترك في هدف واحد وهو النمو بالإنسان والإنسانية ونبذ كل نزعة نفعية ، فالعلاقة بين فلسفة كانط الأخلاقية والفلسفات المعاصرة هي علاقة تداخل وتكامل.

إن كانط قد عبّد الطريق لكثير من النظريات الأخلاقية المعاصرة التي تبنت النقد منهجاً لها، فكانت بذلك هي الدعامة الرئيسية التي يركزون على مبادئها لتطوير نظرياتهم .

¹ جاكليين روز الفكر الأخلاقي المعاصر، مرجع سابق، ص 72

يقول محسن الخوني: «لوشنا أن نربط بين النقد كمفهوم رئيسي في النسق الكانطي والنقد كصفة جوهرية للنظرية النقدية لقلنا أن مدرسة فرنكفورت امتداد وإحياء لفلسفة كانط»¹. ما يمكن استخلاصه هو أننا نسعى إلى الكونية الأخلاقية والموضوعية العلمية و، لا يهمننا في ذلك سبيل تحقيقها سواء كان السبيل إليها الأمر القطعي أو الواجب الأخلاقي، كما نادى بذلك كانط أو عن طريق التداولية الترنسندنتالية كما دعا إلى ذلك آبل أو عن طريق التداولية الشاملة كما هو الشأن مع هابرماس².

لقد كان لنظرية كانط الفضل في بناء قيم إنسانية عالمية، وتكوين مجتمع يؤمن بقيم التسامح والعدل والتفاهم وإرساء الدعائم الإنسانية لميثاق الأمم المتحدة وحقوق الإنسان .

المبحث الثاني : تأثيرات الكونية الأخلاقية الكانطية في الفلسفة الأمريكية.

– جون رولز ونظرية العدالة:

العدالة هي المحور الرئيسي والشغل الشاغل عند كثير من المفكرين والفلاسفة بداية من العصور القديمة حتى يومنا هذا، فما مرت به الإنسانية على مر التاريخ من أحداث صاعدة تمحورت حول الإنسان وقدراته وفاعليته، والتي أعطته نمطا في العلاقات بين البشر بعضها قائم على المصلحة و الآخر على الاتجاه نحو الخيرية ، وما تركته تفاعلات البشرية من حروب وشور قد انعكست على حقوقه وواجباته ووضعته الوجودي ، فالحديث عن حقوق الإنسان وضرورة اكتسابه للقيم العالمية القائمة على الحرية والعدالة والأخلاق وغيرها من القيم التي دعى إليها العديد من الفلاسفة والمفكرين سواء القدامى أو الحداثيين

¹ محسن الخوني، التنوير والنقد منزلة كانط في مدرسة فرنكفورت ، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا ، ط2، 2009،

ص 48

² بن حجة عبد الحليم، القيم الأخلاقية بين النسبي و المطلق، مرجع سابق ،ص120

كان على رأس هؤلاء الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" والذي كانت له العديد من الرؤى الفلسفية حول العديد من القيم الأخلاقية¹ منها على سبيل المثال لا الحصر رؤاه عن العدالة ، فقد عُرف هذا المفهوم في الفلسفة المعاصرة مع الفيلسوف الأمريكي "جون رولز" فنظرية العدالة عند جون رولز هي نظرية فلسفية تناولها في كتابه "العدالة" الذي نشر عام 1971 وهي نظرية تركز على كيفية توزيع الفرص والموارد في المجتمع بشكل عادل مع التركيز على حقوق الأفراد والحماية من الظلم والاستغلال، تقوم هذه النظرية أساساً على فكرة أن العدالة تتطلب أن يتم توزيع الحقوق والفرص بطريقة تضمن أقصى فائدة للأفراد الأقل حظاً في المجتمع، إذن تركز هذه النظرية على التوزيع العادل للموارد والمكتسبات في المجتمع بطريقة تحقق العدالة الاجتماعية، ويحاول رولز من خلال هذه النظرية أن يبرز مبادئها المتمثلة في مبدأ الحرية، ومبدأ الفرص مع تأكيده أن التفاوتات الاقتصادية والاجتماعية يمكن أن تكون مقبولة فقط إذا كانت تعود بالنفع على الأكثر تضرراً في المجتمع .

- الأثر الكانطي في فلسفة جون رولز:

تأثير إيمانويل كانط على نظرية العدالة عند جون رولز يتمثل بشكل رئيسي في مبدأ العدالة كعدالة توزيعية؛ حيث أن كانط أسس مبدأ الأخلاق الكوني الذي ينص على أن الأفراد يجب أن يُعاملوا على قدم المساواة وباحترام كرامتهم البشرية ، جون رولز في كتابه "العدالة كإنصاف" انطلق من فلسفة كانط مع إدخال تعديلات لتطبيق هذا المفهوم في المجتمعات المعاصرة.

¹ رشا العشري ، العدالة عند إيمانويل كانط ، تاريخ الدخول 2024/7/28 الساعة 16:00

رولز اعتمد على فكرة العقلانية و المنطق الكانطي في بناء نظريته للعدالة ، حيث وضع مبدأ العدالة كالنص الأول الذي ينبغي على المجتمعات اعتماده لتوزيع الموارد وتنظيم العلاقات الاجتماعية، واعتبر أن العدالة تتطلب احترام حرية الأفراد وضمان فرص متساوية للجميع مما يعكس تأثيرا عميقا لفلسفة كانط في تشكيل فهمه للعدالة الاجتماعية.

لقد حاول جون رولز إقامة مشروع سياسي قائم على العدالة ففتح بذلك مجالات رحبة لنظريته في المجتمع الغربي، فكان لنظريته حضورا وتميزا في الفلسفة المعاصرة، وكانت لها مكانتها الخاصة ولاقت استحسانا من قبل المفكرين الذين يؤمنون بقيم العدل والمساواة ، وقد أسس نظرية أخلاقية سياسية في إطار فلسفي يناقش كيفية توزيع الفرص والموارد في المجتمع ، وأعطى في ذلك أهمية كبرى للجانب الأخلاقي الذي جعله عماد تقوم عليه نظريته الفلسفية والسعي إلى بناء مجتمع متماسك الأطراف.

إن نظرية رولز تعتبر كانط من أهم المفكرين والفلاسفة الذين أسهموا بشدة في وضع الأسس الفكرية والفلسفية لحقوق الإنسان من خلال العديد من الكتب والرؤى الفلسفية التي تحدثت عن الحرية والسلام، ودور العقل في استنباط الفعل الأخلاقي وغيرها من القيم التي تبناها فيما بعد جون رولز في نظرياته الفلسفية التي أسهمت بشكل كبير في إثراء الحياة السياسية.¹

تقول جاكلين روز في كتابها: "إن مذهب رولز الأخلاقي النظري السياسي ينفرد بميزات، إنه يحاول بنية صادقة وبعيداعن النظريات الأخلاقية الراهنة المتهافتة إقامة تصور جديد ومنهجي للعدالة ، هذا التصور يتجاوز إبهامات النفعية الانكلوسكسونية هذا التصور يعود في مقاربتة تلك إلى مرجعية كانطية تمنح الثقة لرؤية رولز، فيتحدث الفيلسوف الأمريكي عن تصور كانط للعدالة وتظهر أخلاقه النظرية والسياسية امتدادا لأخلاق كانط

¹ رشا العشري ، العدالة عند ايمانويل كانط ، مقال سابق.

، فقد استوحى جون رولز أسس مذهبه عن العدالة من كانط ، و تظهر هنا مبادئ عدالته وكأنها أشبه بأوامر كانط القطعية ، فالعمل وفق مبادئ العدالة عمل وفق هذا النمط من الأمر عند كانط ، وإن المبادئ التي أقام عليها رولز نظريته السياسية وعلى هذا النحو تعد قاعدة من مبادئ النمط الأخلاقي.

لقد جعل رولز نظريته في العدالة تنهل من نظرية كانط.¹ لقد تأثر جون رولز بالفكر الكانطي وظهر ذلك في مشروعه السياسي ، فنلمس الحضور الكانطي واضحا و جليا في نظريته وقد سار على منحاها في رفضه للمذهب النفعي وهو في ذلك يتفق بشكل كبير مع مبادئ كانط حول الأخلاق والفلسفة السياسية ومن أبرز مفاهيم كانط التي أثرت على رولز:

- **مبدأ المعاملة الجماعية:** هذا المبدأ يشير إلى أن الأفعال الأخلاقية يجب أن تتمكن من أن تكون قاعدة عامة للجميع دون تمييز بين أفراد معينين، رولز اعتمد على هذا المبدأ في بناء نظريته عن العدالة ، مشددا على أن القوانين والسياسات يجب أن تكون عادلة وقابلة للتطبيق على الجميع على نفس النحو.
- **احترام الأفراد كفاية في ذاتهم:** هذا المفهوم الكانطي يبرز أهمية معاملة الأفراد بطريقة تحترم كرامتهم وحقوقهم، رولز استوحى من هذا المفهوم في تأكيد حقوق الأفراد وحياتهم كأساس لأي نظام عادل .
- **التفاعلية العقلانية :** هذه الفكرة تتعلق بضرورة أن تكون السياسات والقوانين موضوعا للمناقشة العقلانية بين الأفراد، بحيث تستند إلى حجج وأسباب مقنعة وغير تعسفية ، رولز أيضا اعتمد على هذه الفكرة في بناء نظريته حول العدالة، مشددا على أن القوانين يجب ان تكون قابلة للمناقشة والتبرير بشكل عقلاني .

¹ جاكين روز، الفكر الاخلاقي المعاصر ، مرجع سابق ، ص 102 - 103

بهذه الطريقة يمكن اعتبار جون رولز واحدا من الفلاسفة الذين أسهموا في تطوير فهمنا للعدالة بشكل يعزز الحريات الفردية ويحترم كرامة الأفراد، مستلهما بشكل كبير من أفكار كانط في هذا الصدد.

لقد بدت إلى الآن نظرية جون رولز والمبدئين الذين جعلهما أساسا لنظريته على أنها يطبعها علم واجبات صارم، فالشيء المهم عنده هو الإلزامي العادل وهما متقدمان عن الخير، وإذا تحدثنا عن مذهب الواجبات أي عن مذهب يرى أن الأخلاق وبما فيها الأخلاق النظرية يقوم على العمل كما ينبغي دون مراعاة للنافع أو الخير، فقد ظهر مذهب الواجبات في آخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وهو يستمد أساسه من كانط ويعارض النزعة النفعية ؛ فهنا لا يكون الفعل عادلاً وأخلاقياً لأنه صالح بل لأنه مستقيم وقد اعتنق جون رولز بصفة عامة جملة من الواجبات وأبعد الرجوع إلى خير أسمى أي إلى هدف وغاية أسمى ، هذه الغاية قادرة على تنظيم العمل الإنساني¹.

ومعنى ذلك أن تبني جون رولز لقانون الواجبات عند كانط يعكس إعجابه بفكرة التصرف بناء على واجب ينبع من العقل و العزم الأخلاقي، بغض النظر عن المخرجات أو العواقب الناتجة عن الفعل، يركز هذا النهج على النية الصادقة والالتزام بالمبادئ الأخلاقية العالمية كأساس للتصرف مما يعكس التزامه بالأخلاقية الديناميكية والمبادئ الأخلاقية العامة في تحديد صواب الأفعال.

لقد تطورت الفكرة الأساسية للعدالة من العصور القديمة إلى الوقت الحالي ؛ حيث ظهرت بوادرها الأولى لدى البابليين واليونانيين والرومان وصولاً إلى المفكرين المعاصرين أمثال جون رولز ؛ حيث تبلور مفهوم العدالة على يد أفلاطون و أرسطو و توماس هوبز مروراً بآراء آدم سميث وسنتام وجون استيوارت ميل وعلى رأسهم إيمانويل كانط ، فقد اهتم

¹ المرجع نفسه ، ص 100

بهذه القيمة وكان من أحد المطالبين بحقوق الإنسان وأكد على المساواة بين الناس وقد تأثر في هذا الجانب بالمفكر و السياسي الفرنسي جان جاك روسو الذي كان يطرح في كتاباته تساؤلات عميقة عن طبيعة الأخلاق وطبيعة المجتمعات ومشكلة الأفراد وفلسفته الفردية.¹

لقد حاول جون رولز الابتعاد والانفصال عن الفلسفة الأرسطية الغائية التي كانت محل اهتمامه وصب هذا الاهتمام على الفلسفة الكانطية الواجبية، فحاول بذلك التخلص من فلسفة قديمة ليؤسس لفلسفة جديدة ومعاصرة مرتكزا في ذلك على الأخلاق الكانطية التي ظهرت ملامحها في فلسفته ، وهو في ذلك قد حاول القطع مع المنظور التيتولوجي الذي يطبع الأخلاق الكلاسيكية ليؤسس لنموذج ديونطولوجي للفكر.²

مفهوم العدالة :

العدالة تمثل مجموعة من النظريات والمفاهيم التي تسعى إلى تحديد ما هو العدل وكيفية تحقيقه في المجتمعات، تتنوع تلك النظريات بناء على المفهوم الأساسي للعدالة الذي تعتمد عليه كل منها، سواء كان ذلك بالنظر إلى العدالة كمبدأ أخلاقي، أو كمبدأ قانوني أو اجتماعي، تعتبر هذه النظريات جزءا أساسيا من الفلسفة السياسية والقانونية، حيث تساهم في توجيه التشريعات والقرارات السياسية لتحقيق أفضل حالات المساواة والعدل داخل المجتمعات، يعرف جميل صليبا العدالة بقوله: « العدالة قيمة أخلاقية ومطلب سياسي إنساني على الإطلاق، فهي ليست جزءا من الفضيلة وإنما هي الفضيلة كلها ».³

يقول جون رولز معلقا على تصوره في العدالة: سوف أعلق على تصور العدالة الذي عرضته في كتاب "نظرية في العدالة " ،التصور الذي دعوته العدالة إنصاف ، أرى الأفكار

¹ رشا العشري، العدالة عند إيمانويل كانط، مقال سابق

² علي عبود المحمداوي، موسوعة الأبحاث الفلسفية الغربية المعاصرة ، ج 2 مرجع سابق، ص 1220 .

³ جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، ج 2 ، مرجع سابق ، ص 59

والأهداف، هذا التصور كتلك الأفكار والأهداف المرتبطة بالتصور الفلسفي للديمقراطية الدستورية ، أتأمل أن تصبح العدالة إنصافاً معقولة ومفيدة حتى وإن لم تكن مقنعة تماماً لمجال واسع من الآراء السياسية الفكرية، و بالتالي تحتل جزءاً أساسياً من الركيزة العامة للتقليد الديمقراطي¹.

تعد "نظرية العدالة" 1971 لجون رولز في العالم الأنجلوسكسوني وفي أوروبا أيضاً على نحو مطرد ، أحد النصوص المعاصرة التي اشتهرت في مجال الفلسفة الأخلاقية النظرية والسياسية ، وهو في الواقع كتاب أخلاق نظرية وفكر سياسي على نحو لا ينفصل، وقد حاول جون رولز في كتابه هذا طرح مسائل مثل : ما العدالة ؟ ما النظام العادل المستقر؟

كيف يمكن وضع الشروط والقواعد التي تساعد على توزيع الخيرات والمصالح الأساسية توزيع عادلاً؟².

يقول جون رولز : أردت التوصل إلى التصور في العدالة يقدم بديلاً نظامياً معقولاً عن المذهب النفعي الذي ساد بشكل أو بآخر لمدة طويلة في التقليد الأنجلو سكسوني من التفكير السياسي ، والسبب المباشر الذي دفعني لإيجاد هذا البديل وما تعانیه العقيدة النفعية من ضعف بحيث لا يمكن اعتمادها كأساس لمؤسسات الديمقراطية الدستورية ، ويواصل جون رولز نقده للمذهب النفعي قائلاً : لا أظن أن المذهب النفعي قادر على تقديم تفسير مرضٍ للحقوق والحريات الأساسية للمواطنين كأفراد أحرار ومتساوين، لقد استخدمت طريقة أكثر تجديدًا وعمومية لفكرة العقد الاجتماعي ولذلك كان للعدالة إنصاف هدفين أحدهما :

¹ جون رولز، نظرية في العدالة ترجمة ليلي طويل، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، (د ط) ، 2011 ،

² جاكين روز ، الفكر الاخلاقي المعاصر ، مرجع سابق ، ص 96

تقديم تفسير مقنع للحقوق والحريات ،والهدف الثاني هو دمج ذلك التفسير مع فهم المساواة الديمقراطية.¹

يصور جون رولز في كتابه نظرية العدالة لإنصاف العدالة على أنها مثال أخلاقي تحلم به سائر المجتمعات ،وقد حاول فيه التصدي المباشر للنفعية أو للكمالية أو للتصورات الأخلاقية العامة الأخرى. ويحاول الإجابة عن السؤال : ما هو الترتيب الأعدل والأنسب للمؤسسات الاجتماعية الأساسية الذي يحقق القيمتين الديمقراطيةين النواتين المتمثلتين في الحرية والمساواة لجميع المواطنين؟.²

إن كتاب "نظرية العدالة كإنصاف" لجون رولز هو عمل فلسفي مهم يناقش العدالة الاجتماعية والمبادئ الأخلاقية في المجتمعات الحديثة؛ حيث يركز رولز في كتابه على مفهوم العدالة كتساوي الفرص وحقوق الفرد مع التأكيد على أهمية الحرية الأساسية للجميع، إذ يُعتبر هذا الكتاب مرجعا هاما لفهم كيفية توزيع الموارد والفرص بطريقة كون عادلة ومنصفة للمجتمعات الديمقراطية.

يصف رولز الموضوع الرئيسي الذي تطرقت إليه نظريته بأنه التركيبية الأساسية للمجتمع ،وتشمل هذه التركيبية المؤسسات الاجتماعية ومنها دستور المجتمع السياسي وتركيباته الاقتصادية وتنظيماته الاجتماعية.

يولي رولز اهتماما خاصا بصنفين من الأمور يتضمن أحد الصنفين أنواع الضوابط التي تنظم التعاملات والصفقات التي تجري بين الأشخاص على انفراد ،أما الصنف الآخر فهو يشمل نشاطات و تعاملات فردية ومع ذلك فإن هذين الصنفين ليسا موضوع نظريته،

¹ جون رولز ، نظرية في العدالة، مرجع سابق، ص 12.

² صموئيل فريمان، اتجاهات معاصرة في فلسفة العدالة، جون رولز نموذجا ترجمة فاضل جتكر ، ، بيروت المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2015 ، ص 14-15.

فالموضوع الذي تناوله رولز هو العدالة الاجتماعية وفقاً لرأيه، فإن الموضوع الذي يجب أن نتناوله أي نظرية في العدالة الاجتماعية ينبغي أن يكون التركيبية الأساسية للمجتمع.¹

إن رولز لا يحاول حل مشكلة العدالة بأكملها، إنه يهدم في نظريته بالمبادئ المسيطرة على توزيع المنافع الاجتماعية توزيعاً عادلاً وعلى إعطاء الحقوق والحريات.²

جون رولز ضد المنفعة:

لقد قام جون رولز بنقد مذهب المنفعة العامة من أجل إيجاد أساس أخلاقي متين، ويمكن القول أن موقف جون رولز من هذا المذهب يذهب إلى حد التشكيك به، فهو يرى في نظريته الشهيرة "نظرية العدالة" بأنه ينبغي أن توزع فوائد المجتمع بطريقة تكون عادلة للجميع، وهذا يتعارض مع المذهب النفعي الذي يركز بشكل أساسي على تحقيق أكبر قدر من المنفعة العامة أو الفردية. فالعدالة في نظر رولز هي توزيع للموارد والفرص بشكل يعزز المساواة ويحترم حقوق الفرد بدلاً من التركيز الحصري على النتائج كما يفعل المذهب النفعي، تقول جاكين روز: "لقد جاءت النظرية الرولزية بحل بديل عن النفعية الذي أسسه جيرمي بينتام الحقوقي الإنجليزي، الذي يرى أن مبدأ السعادة الأكبر لعدد من الأفراد يصلح أساساً للحكومة، فيحدث الانسجام الاجتماعي عندما يُحصَل أكبر عدد من الأفراد للذات والمنافع، واعتنق جون ستيوارت ميل بدوره مبادئ النفعية التي تركز على مفهوم العدالة الإستقرارية بأن العدالة ستُحقق عندما يحصل الفرد على ما يستحقه بناءً على جهوده ومساهماته في المجتمع."³

¹ ديفيد جونستون مختصر تاريخ العدالة، ترجمة مصطفى ناصر، الكويت عالم المعرفة، د ط، 2012، ص 242

² جاكين روز، الفكر الأخلاقي المعاصر، مرجع سابق، ص 96

³ المرجع نفسه، ص 97.

يرى رولز أن مذهب المنفعة يستند إلى تصور أحادي مفهوم الخير، فنظرية المنفعة من خلال تعاملها مع السعادة كمقياس فريد مطلق لرفاهية البشر تفشل في أن تعطي الاهتمام المطلوب لحقيقة العدالة، فالبشر حسب رأيه لهم اهتمامات مختلفة ويسعون إلى أهداف متشعبة، فالسعادة إذن ليست سوى غاية واحدة من بين تلك الغايات، وهو في هذه النقطة بالذات يمكن القول أنه يتفق مع كانط إذ تبدو وجهة نظر رولز ذات صلة عميقة برأي إيمانويل كانط في أن حرية البشر وليست سعادتهم هي الهدف الذي يجب أن نركز عليه والذي يجب أن يحتل مكان الصدارة من أفكارنا في العدالة.¹

يقول جون رولز: إن مذهب النفعية قد سيطر على الأخلاق الحديثة على امتداد كبير من الزمن، وأن كل من انتقد هذا المذهب قد أشار إلى أن مضامينها تختلف مع قناعاتنا وعواطفنا الأخلاقية، وأن الناقدين لم يقدموا بديلاً وأخفقوا في بناء تصور أخلاقي ومنهجي وعملي لمعارضتها، ولهذا فإن ما يقترح رولز للقيام به هو تعميم نظرية العقد الاجتماعي التقليدية كما مثلها بوك وروسو وكانط ومحاولة رفعها إلى مستوى أعلى من التجريد، وكان هدفه في ذلك هو تطوير هذه النظرية بما يمكنها من تقديم رواية منهجية بديلة لقصة العدالة تكون متفوقة على نفعية التراث المهيمنة، لقد زعم رولز أنه وضع مخطط نظرية العدالة كإنصاف متفوقة على النفعية.²

يهدف المذهب النفعي إلى تحقيق وزيادة الرفاه الخاص للأفراد على نحو يحقق به الفرد أكبر خير ممكن، ولهذا فنحن نفرض على أنفسنا تحديات مفيدة لنحصل على منافع أكبر، إن نظرية العدالة هذه لا تتبالي بسعادة كل فرد كل فاعل، فهي إذن تعامل جميع الفاعلين معاملة واحدة، وتأخذ بالاعتبار رفاها عاماً ولكنها لا تهتم بالشخص، وهنا نجد

¹ ديفيد جونستون، مختصر تاريخ العدالة، مرجع سابق، ص 37.

² صموئيل فريمان، اتجاهات معاصرة في فلسفة العدالة، جون رولز نموذجاً، مرجع سابق، ص 517.

النظرة الكانطية لرولز التي تقوده إلى إبراز ثغرات وعيوب المذهب النفعي ، وفي الحق إن النفعية مذهب ينطلق من الوقائع بينما يتطلع رولز الكانطي إلى شيء قبلي، النفعية تنظر إلى الميول والنزاعات الإنسانية نظرتها إلى معطيات ومن ثم لتلبيتها، وعلى العكس تماما ينطلق تفكير رولز من مبادئ العدالة.¹

بصفة عامة لم يكن رولز على اقتناع بمذهب المنفعة ؛لأن ذلك الكيان الهائل من الأفكار النظرية لا يناقش قضايا ذات صلة بالتوزيع باعتبارها موضع تساؤلات جوهرية كان يستوجب أن تطرح بشأن العدالة ، في حقيقة الأمر تركز نظريات المنفعة عموماً على تعزيز رفاة البشرية أكثر من تركيزها على العدالة.²

يتبنى جون رولز منهاجاً مستمراً جزئياً من إيمانويل كانط وبعض المفكرين الذين سبقوه في بواكير تاريخ الفكر السياسي الحديث ،ومن هؤلاء توماس هوبز ،وجون لوك، وجان جاك روسو ،يتمثل المنهج في تخيل أن المجتمع يتأسس على اتفاق بين الأفراد تتحدد من خلاله شروط الرابطة التي تجمع بينهم ،وقد كان إيمانويل كانط قد طبق هذا المنهج في نظريته عن الحق العام من خلال اقتراح فكرة العقد الأصلي لاختبار مدى عدالة القوانين والسياسات العامة ؛ إذ كان من المعقول افتراض أن يحظى القانون أو السياسة التي نحن بصددنا بقبول جميع أفراد المجتمع ضمن عقد أصلي، وحسب رأي كانط علينا افتراض عدالة ذلك القانون أو تلك السياسة، أما إذا لم يكن هذا الافتراض وارداً أو معقولاً ربما نستنتج عدم عدالة ذلك القانون أو تلك السياسة ، لقد قام كانط بتضييق استخدامه لفكرة العقد الأصلي الافتراضي حيث حصر مهمتها في اختبار عدالة أو عدم عدالة القوانين و السياسات ،واستخدم رولز فكرة العقد الأصلي الافتراضي هذه لوضع مجموعة مبادئ للعدالة

¹ جاكين روز ، الفكر الأخلاقي المعاصر، مرجع سابق، ص 98

² ديفيد جونستون ، مختصر تاريخ العدالة، مرجع سابق، ص 238

الاجتماعية ،وقد كان استخدام رولز لهذه الوسيلة استخداماً أكثر طموحاً و اتساعاً من استخدام إيمانويل كانط لها.¹

– مبدأ العدالة :

عندما نتحدث عن مبادئ العدالة في فلسفة جون رولز يمكن تلخيصها في مبدئين اثنين:

1-مبدأ المساواة الأساسية : ينص هذا المبدأ على أن كل فرد يجب أن يتمتع بحرية

متساوية لتحقيق مزايا الحرية الأساسية بالنسبة للجميع ودون أي تمييز بناء على خصائصهم الشخصية مثل الجنس أو العرق أو الدين وما إلى ذلك، يصف رولز حرية المبدأ الأول بأنها أساسية وأخلاقية وبأنها أهم بالنسبة إلى حرية المواطنين الديمقراطيين، مقارنة مع المبادئ الأخرى غير الأساسية التي ذكرها سابقاً، وهذا يعني أن الحريات الأساسية جوهرية بالنسبة إلى ممارسة وتطوير القوتين الأخلاقيتين العدالة والعقلانية اللتين تُكوّنان وتحددان تصور الشخص الكامن في عمق نظرة رولز البنائية ؛حيث يرى أنّ هذين القوتين الأخلاقيتين هما اللتان تساعدان الفرد على امتلاك إحساس بالعدل ؛ أي قدرته على فهم مبادئ العدالة وتطبيقها والتصرف بموجبها والعمل من أجلها، وهو في نظريته هذه يرى القوى الأخلاقية من منطلقات كانطية.²

إذن المبدأ الأول يوجب المساواة في تحديد الحقوق والواجبات الأساسية، فلكل

شخص كما يقول رولز حق مساو من الحقوق الأساسية المتساوية للجميع.³

¹المرجع نفسه ، ص 251- 252

² صموئيل فريمان ، اتجاهات معاصرة في فلسفة العدالة جون رولز نموذجاً، مرجع سابق ،ص 19

³ جاكليين روز ، الفكر الأخلاقي المعاصر، مرجع سابق ،ص 99

يقول جون رولز في كتابه "نظرية في العدالة" متحدثاً عن المبدأ الأول مبدأ المساواة: يجب أن يحصل كل شخص على حق متساو في المخطط الأكثر اتساعاً من الحريات الأساسية المتساوية الذي يتوافق مع مخطط مماثل من الحريات للآخرين¹ ، فالمبدأ الأول ذو أسبقية على المبادئ الأخرى فهو يهدف إلى ضمان حريات وحقوق متساوية للجميع، إذ يفترض أنه ينبغي أن يكون لكل شخص حق مساوٍ للنظام الكلي الأكثر انتشاراً للحريات الأساسية المتساوية للجميع، متوافق مع النظام نفسه لجميع الحريات الأساسية الأكثر أهمية هي الحريات السياسية ، كالحق في حرية التعبير، و الاجتماع ، وحرية التفكير والوعي، واحترام السلامة الجسدية والبيكولوجية للشخص ،والحق في الملكية الشخصية ،والحماية من التوقيف والحبس التعسفيين.² إذن فالحريات التي يجب أن تحظى بالحماية من خلال مبدأ الحريات الأساسية هي حسب ما يراه رولز فقط تلك الحريات اللازمة لتطوير وتطبيق قدرتين من المرتبة العليا ضمن الشخصيات الأخلاقية ، لا يسعى رولز إلى سرد قائمة كاملة تضم أنواع هذه الحريات ولكنه يذكر من بين أشياء أخرى حرية الانضمام إلى رابطة ،حرية الضمير، حرية الفكر، حرية عدم التعرض للاعتقال العشوائي ،ويركز خاصة على الحريات السياسية و يوليها اهتماماً خاصاً كحق التصويت وحرية الصحافة، ويؤكد على أن أفراد المجتمع العادل يجب أن يحصلوا على قدر كاف من هذه الحريات مما يؤهلهم لممارسة هذا الدور المؤثر في اتخاذ القرارات مثل أي فرد آخر.³

¹ جون رولز ، نظرية في العدالة ، مرجع سابق ، ص 92

² جان فرانسوا دور تيبلي ، فلسفات عصرنا تياراتها ، مذاهبها ، أعلامها وقضاياها، ترجمة إبراهيم صحراوي ، بيروت ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط1 ، (دت) ص 209.

³ المرجع نفسه ، ص 256.

إنّ يعتبر هذا المبدأ أساسيا في فلسفة العدالة عند جون رولز، فالحريات الأساسية يجب أن تكون موزعة بالتساوي بين جميع الأفراد ، وأن أي تفاوتات يجب أن تكون لصالح الأكثر فقرا وضعفا وبما يتناسب مع الفوائد القصوى للأقل حظا في المجتمع .

2- **مبدأ التفاوت** : ويعرف بمبدأ الفرص المتساوية وهو ينص على أن الحريات والفرص يجب أن تكون متاحة للجميع على نحو متساو دون تمييز أو تفضيل لأحد بسبب أصله أو وضعه الاجتماعي أو الاقتصادي.

يطرح المبدأ الثاني عدالة صنوف التفاوت الاجتماعي الاقتصادي عندما تقدم بصفة التعويض منافع لكل فرد إذا أفادت الأفراد الأقل نصيبا ، فليست هناك عدالة في أن يحظى عدد صغير بمنافع تفوق المتوسط بشرط تحسين وضع اللامحظوظين، فنموذج العدالة الرولزي لا يراعي المصلحة الخاصة هذه أو تلك بل تقوم أصوله على اختيار المبادئ العادلة.¹

ويكون الغرض من التفاوت الاجتماعي الاقتصادي تبرير حالتين: إحداها أن ترتبط تلك الحالات بالمناصب والمواقع المتاحة للجميع على حد سواء ضمن شروط المساواة العادلة والمتكافئة في الفرص والتي تقوم على الإنصاف.

وثانيهما يجب أن يكون هدفها تحقيق أكبر منفعة للأفراد الذين يحصلون على أقل المكاسب في المجتمع .²

يطرح رولز مسألة العدالة التوزيعية تحديدا في المبدأ الثاني بالنسبة إليه تكون الحقوق الاقتصادية للملكية والتعاقد مؤسسية وليست عرفية ؛ ومعنى مؤسسية أنها تقوم على منظومة قواعد و ممارسات اجتماعية، وتحدد الحقوق والواجبات في استخدام الأشياء

¹ جاكين روز، الفكر الأخلاقي المعاصر، مرجع سابق، ص 98

² ديفيد جونستون، مختصر تاريخ العدالة ، مرجع سابق ، ص 254

والتحكم بها، وإذا قلنا أنها عرفية لا يكون الناس أصحاب تملك بمعزل عن القواعد القانونية والترتيبات المؤسسية الموجودة ؛ فالعدالة في التوزيع إذن تعزز أعراف الملكية الراهنة مما يؤدي إلى إعطاء كل ذي حق حقه ¹.

فلا بد أن تنظم مظاهر التفاوت الاجتماعي والاقتصادي على نحو تكون فيه لصالح الأقل امتيازاً ، يطبق المبدأ الثاني في توزيع الدخل والثروة بحيث تكون لمنفعة كل شخص . فالتفاوت الاجتماعي يكون عادلاً فقط إذا كان منتجا لمزايا تعوض الأفراد الأكثر حرماناً وتضرراً .

يهدف المبدأ الثاني إلى تأسيس العدالة الاجتماعية لكنه يضع في الحسبان حقيقة أنه في مجتمع ذي مساواة مطلقة قد تتعرض فيه الإنتاجية لخطر الانخفاض كثيراً إلى حد يتضرر معه الجميع حتى الأكثر حرماناً ، وهنا يؤكد رولز أن التفاوتات الاجتماعية الاقتصادية ستكون عادلة فقط إذا قامت بتعويض الأفراد الأكثر حرماناً في المجتمع إضافة إلى ذلك ينبغي أن يستفيد كل شخص من الفرص نفسها في الوصول إلى مختلف الوظائف والوضعيات الاجتماعية التي يستفيد منها غيره فهو يؤكد هنا على مبدأ تساوي الفرص ².

يُعرب جون رولز عن مثل أعلى نظري عملي معقول ما دامت كل زيادة لصالح الأكثر حظاً إنما يعوض عنها بتقليل أضرار الأقلين حظاً، فالمفكر الأمريكي يتخذ وصفاً وسطاً بين مبدأ المساواة وبين سيادة السوق المحض، فالمبدأ الثاني يسعى إلى تحقيق المنفعة العامة المتبادلة لجميع الشركاء الاجتماعيين في قلب منظومة تعاونية ³.

¹ صموئيل فريمان ، اتجاهات معاصرة في فلسفة العدالة ، مرجع سابق ، ص 20

² جان فرانسوا دورتيي ، فلسفات عصرنا، مرجع سابق ، ص 209

³ جاكولين روز ، الفكر الأخلاقي المعاصر، مرجع سابق ، ص 100

يمثل هذان المبدأان الحل الذي قدمه رولز لمشكلة العدالة في المجتمعات الديمقراطية المعاصرة، وإذا كان المبدأ الثاني الذي يسميه مبدأ الاختلاف بحكم توزيع الموارد الاقتصادية، فإن المبدأ الأول الذي يحظى بأولوية مطلقة عليه يتعلق بالحرية وحقوق كل مواطن في التمتع بها على قدم المساواة مع غيره مهما كان مقامه داخل المجتمع، ومجمل القول أن هناك نقاط تشابه بين جون رولز و إيمانويل كانط في فلسفة العدالة منها:

• **المبدأ الأخلاقي الأساسي :**

كلاهما يسعى إلى وضع مبدأ أخلاقي أساسي يمكن أن ينطبق على كل الأفراد والمجتمعات على حد سواء ، فلدى رولز يتمثل هذا في مبدأ التساوي الأساسي الذي يفرض الحاجة إلى توزيع الفرص والموارد بطريقة تضمن أقصى فائدة للأقلية، أما كانط فيتمثل مبدؤه الأخلاقي في مبدأ العقلانية الذي ينص على أن الأفراد يجب أن يعاملوا بما يعتبرون أنه من الصواب لكل شخص .

• **التركيز على الواجبات والحقوق:** كلاهما يولي اهتماماً كبيراً للواجبات والحقوق،

فرولز يعتبر أن العدالة تتطلب مراعاة الحقوق والواجبات بين الأفراد والمجتمع، بينما كانط يركز على واجبات الأفراد والتزامهم بها كأساس للعدالة.

• **المبدأ العالمي:** كانط يدعو إلى تبني قاعدة العمومية أو القاعدة العالمية التي يمكن

لجميع الأفراد القبول بها ، بينما رولز يسعى إلى وضع نظام عدالة يمكن أن يحظى بالتأييد الشامل على نطاق واسع في المجتمع .

• **المرونة في التفاعل الاجتماعي :** كلاهما يرى أن العدالة يجب أن تكون قادرة على

التعامل مع تنوع المجتمع و تفاعلاته المعقدة ،وينظر كلاهما إلى العدالة كمبدأ مرّن يمكن تكييفه مع مختلف الظروف والثقافات .

بالرغم من هذه النقاط المشتركة هناك أيضا اختلافات في مفاهيمهم وتفسيراتهم للعدالة، مما يجعل كلا منهما يقدم مساهمة فريدة في الفلسفة الأخلاقية والسياسية.

المبحث الثالث: تأثيرات الكونية الأخلاقية الكانطية في الفلسفة الفرنسية.

1 - بول ريكور: تأثر بول ريكور بأخلاق إيمانويل كانط إذ يشكل جزءا مهما من تطور فلسفته الأخلاقية ، كانط الذي يُعتبر أحد أبرز الفلاسفة في الفكر الغربي قد قدم نظريات أخلاقية تتعلق بالواجب والحرية و التشريع الأخلاقي، ريكور من جهته تفاعل مع هذه الأفكار بشكل نقدي مبني على مفاهيم كانطية ولكنه أضاف إليها رؤى جديدة من خلال استكشافه لمفاهيم مثل الأفعال الطوعية والإرادة الحرة، حاول ريكور توسيع وتطوير الأفكار الأخلاقية الكانطية لتناسب مع الأبعاد الإنسانية والتجريبية في عالمنا المعاصر .

لقد جعل بول ريكور من الأخلاق الكانطية أساسا للانطلاق في فلسفته والتوسع فيها، فهو من خلال كتابيه " العادل " والذات عينها كآخر" حاول أن يبين مدى إعجابه بالأخلاق الواجبية ، وسعى إلى تبين قيمتها فهي في نظره الأخلاق التي تقوم على الإلزام.

يشرع ريكور أولاً في التمييز بين الأخلاق و بين الواجباتية أو أخلاق الواجب، وهو يرى أن الأخلاق الأولى قد أخذناها عن أرسطو وهي تحمل في ثناياها كل ما هو خير وحسن وجيد وما يجعل الحياة طيبة ، أما الأخلاق الثانية فهي ترتبط بكل ما نعتبره عملا إجباريا ينطوي على الإلزام و الإكراه وهو خاضع دائما لمعيار صلاحية الكلية للتعميم ، هذه الأخلاق الأخيرة مصدرها هو كانط ومن إلزامية الأمر المطلق عنده.¹

يدعونا ريكور إذن إلى التمييز بين نوعين من الأخلاق، الأخلاق العالية وهي تعاليم أرسطو والأخلاق الواجبية وهي أخلاق كانط ،وقد حاول الربط والجمع بينها لخلق لنفسه

¹ بول ريكور،الذات عينها كآخر،ت : جورج زيناتي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت لبنان ، ط1، 2005، ص 52.

أرضية صالحة للانطلاق في بناء فلسفته الجديدة ، فالتمييز الذي اقترحه بين الأخلاق والواجبية لا شيء في علم الاشتقاق أو نلمسه في تاريخ من استعمل هاتين المفردتين ، فالأولى جاءتنا من اليونانية والثانية مصدرها لاتيني ، وكلا المفردتين تعيداننا إلى الفكرة الحدسية للعادات والشيم والتقاليد بالإضافة إلى الدلالة التبعية المزدوجة، فهو يحتفظ بالأخلاق من أجل التطلع إلى حياة منجزة ويحتفظ بالواجبية من أجل وضع هذا التطلع داخل معايير تتصف بالكلية الكونية أي صلاحها لجميع البشر واحتوائها قيما و إكراها في نفس الوقت¹، فهذه العبارة تعكس فلسفة ريكور في العلاقة بين الأخلاق والواجبية في تحقيق حياة ذات معنى.

فالأخلاق الأرسطية تشير إلى أهمية القيم الأخلاقية في صياغة رؤية للحياة التي نسعى لتحقيقها ، والأخلاق هنا تعني القيم والمبادئ التي توجهنا نحو تحقيق حياة منجزة ذات معنى ، وهذا لا يكون حسبه إلا في إطار واجبات أي الالتزام بالمسؤوليات والالتزامات التي تأتي من تلك القيم الأخلاقية الواجبية تساعد في تنظيم وتوجيه الفرد نحو تحقيق الأهداف التي حددها بناء على قيمه.

يقول بول ريكور «من السهل جدا أن نتعرف من خلال التمييز بين الاستهداف والمعيار على التعارض بين تراثين فلسفيين : تراث أرسطو طاليسي حيث الأخلاق يميزها المنظور الغائي ، وتراث كانطي حين أخلاق الواجب يحدها الطابع الإلزامي للمعيار وبالتالي وجهة نظر أدابية ومن دون الالتزام الزائد بأرسطية متشددة ومستقيمة ولا بكانطية كذلك»².

يؤكد ريكور على أهمية وأفضلية أخلاق الواجب في بلورة فلسفته وبأنها حظيت عنده بأرقى منازل الخطاب، فبعد دراسة أرسطو التي تنطلق من استهداف الحياة الجيدة الخيرة

¹ المرجع نفسه ، ص 343.

² المرجع نفسه ، ص 343.

ينتقل إلى دراسة ثانية و هي محاولة منه لإخضاع الاستهداف الأخلاقي لامتحان معيار الواجب من فلسفة الواجب إلى فلسفة الأخلاق ولكن إلى أخلاق اعتنت بمرورها من خلال المعيار الواجب وواجهت الحكم الواجبي في مواقف مختلفة، فالدراسة الحالية ستركز على العلاقة بين الإلزام والصورية وذلك ليس للتديد بسرعة لمناطق ضعف فلسفة أخلاق الواجب بل للقول عن عظمتها إلى قدر ما يستطيع أن يحملنا خطاب.¹

ناقش ريكور موضوعات متعددة تتعلق بالأخلاق والعدالة ،و قدم تحليلاته الخاصة حول الأخلاق والعدالة من خلال عدة مقالات وأعمال وأحد هذه النقاط هو العلاقة بين الحس بالعدالة وأخلاق الواجب عند كانط ،فالعدالة عنده تحققها المؤسسات التي تسعى إلى توفير حياة عادلة تربط بين أفراد المجتمع علاقات التعاون وهذا في إطار أخلاق الواجب، فقاعدة العدالة تعبر على صعيد المؤسسات عن التطلب المعياري نفسه الذي تعبر عنه الاستقلالية الذاتية على المستوى التحاوري و البين شخصي فهذا أمر لا ينكره أحد ، إذ أن الشرعية تبدو وقد اختصرت كل الرؤية الأخلاقية الواجبية للعالم.²

يرى ريكور أن الحس بالعدالة يعبر عن الشعور الداخلي بالإنصاف والمساواة والذي يمكن أن يدعم المبدأ الكانطي الذي ينص على أن الأفعال يجب أن تكون وفقا لمبادئ تعميمها عالميا ، بمعنى آخر بالنسبة لريكور الحس بالعدالة لا يتناقض مع أخلاق الواجب بل يمكن أن يكون دائما ومؤيداً لها، حيث أنه يعزز التزام الأفراد بالمبادئ الكونية التي يقوم عليها الواجب الأخلاقي في نظر كانط ،وإذا كانت العدالة مطلبا مهما في الحياة الجيدة داخل المؤسسات فإنه لا يمكن للأخلاق أن تحقق جميع أهدافها إلا بتواجد هذا البعد الذي يتدخل بدوره في تحقيق الذات كذات فاعلة واعية ومسؤولة ، ولهذا فمحور التساؤل عند

¹ المرجع سابق ، ص 397

² المرجع نفسه ، ص 436

ريكور هو المعيار الأخلاقي والواجبي الإلزامي ليصل في الأخير إلى العدل كقيمة أخلاقية يؤمن بها الناس من الناحية الأخلاقية التطبيقية والإرادية، أي إرادة تأسيس مجتمع يتمتع بالعدالة على جميع الأصعدة.¹

سعى ريكور إلى تقديم تحليل حول الأخلاق من خلال دمج أفكار أرسطو وكانط وإيجاد نوع من التداخل بين الأخلاق الأرسطية أي أخلاق الفضيلة لأرسطو والأخلاق الواجبية لكانط ، حيث تركز الأولى على تطوير الفضائل كطريق لتحقيق حياة جيدة ، فهي عنده تتعلق بالنمو الشخصي وتنمية الصفات الجيدة من خلال الممارسة والتمرين و تقوم الثانية (أخلاق الواجب) على الواجب والقواعد الأخلاقية المطلقة التي يجب أن يتبعها الأفراد والتي تعقد على مبدأ الكونية أو العالمية التي تعامل كما لو كانت قاعدة عامة.

يقدم لنا ريكور فلسفة متنوعة حول الأخلاق في بعدها التطبيقي الذي يكون في استطاع كل فرد أن يعيش داخل هذه الأبعاد الثلاث ويوفر لنفسه هدف السعادة الذي يطلع عليه منذ لحظة وجوده ، وإن كان هذا يتعلق بالتصور الأرسطي طاليسي فإن هناك تصوراً آخر لدراسة أخلاقية يقدمها لنا ريكور لكن في إطار معياري تتأسس فكرته الفيلسوف الألماني كانط.²

من وجهة نظر ريكور أن أخلاق الفضيلة تتعلق بالنية والهدف ، بينما الأخلاق الواجبية تركز على القواعد و المعايير والجمع بين هذين المنظورين يمكن أن يخلق فهما أكثر شمولية للأخلاق، حيث أن الأخلاق الأرسطو طالسية توفر الإطار الشخصي و والنفسي بينما الأخلاق الواجبية تقدم القواعد والضوابط التي توجه التصرفات في المجتمع،

¹ فائزة شرماط، فلسفة الأخلاق عند بول ريكور، رسالة ماجستير 2010 جامعة باتنة- باتنة، ص 35

² فائزة شرماط - فلسفة الأخلاق عند بول ريكور، مرجع سابق ، ص 36

بهذا الشكل حاول ريكور دمج هذه المنظورات لتحقيق توازن بين الفهم الفردي للأخلاق والتزام القواعد العامة.

إن تفشي ظاهرة العنف حسب رأي ريكور في العلاقات الإنسانية هو وحده الذي يفرض علينا الانتقال من نمط غائي للإتيقا إلى نمط ديا أنطولوجي للأخلاق، أو يمكن القول اختصاراً من أرسطو إلى كانط على أن الحركة الصاعدة من الأخلاق إلى الإتيقا تهمنا هنا أكثر من المسار العكسي، فلأجل هذه العودة إلى الوراء ترتبط الغائية الأخلاقية بالغائية الفينومينولوجية وإن هذا الارتباط ليجد تعبيراً ملائماً في المقاربة القصية بين المفهوم الكانطي والمفهوم الأرسطي، ولكي نرسخ هذا التحالف بين فينو مينولوجيا الإنسان القادر و إتيقا الرغبة في الحياة الطيبة، فالتقدير الذي يسبق على صعيد الإتيقا وهو ما أسماه كانط بالاحترام على صعيد الأخلاق يتوجه أصالة إلى الإنسان القادر و بالمقابل يكون جديراً بالاحترام بوصفه كائننا قادراً.¹

يشير بول ريكور في هذه الفقرة إلى تفشي ظاهرة العنف في العلاقات الإنسانية مما يفرض علينا تغيير الطريقة التي نتعامل بها مع هذه العلاقات إذ يرى أن العنف يجعلنا نعيد النظر في النماذج والأهداف التي نتبعها في فهمنا للتفاعلات الإنسانية بدلاً من التركيز فقط على النتائج أو الأهداف، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أبعاد جديدة في كيفية بناء وتعزيز العلاقات الإنسانية بشكل يتسم بالاحترام والتفاهم.

استغل ريكور فكرة الكونية الأخلاقية عند كانط لتطوير مفهومه الخاص حول الأخلاق حيث قدم كانط فكرة الكونية الأخلاقية من خلال مبدأ الواجب والقاعدة الكونية التي تقتضي بأن الأفعال يجب أن تكون وفقاً لمبدأ يمكن تعميمه كقانون عالمي، فالقانون الذي

¹ بول ريكور، بعد طول تأمل، ترجمة فؤاد مليت، مراجعة عمر مهيبيل، منشورات دار الاختلاف، المركز الثقافي العربي بيروت - الدار البيضاء، ط1، 2006، 120.

تحدث بمقتضاه الآثار والنتائج المترتبة عليه يكون قانونا شاملا بالمفهوم الأعم لهذه الكلمة، أو بتعبير آخر وجود الأشياء من حيث تحددها قوانين عامة وشاملة فالأمر الكلي للواجب يمكن أيضا أن نعبر عنه في هذه الصيغة افعل كما لو كان على مسلمة فذلك أن ترتفع عن طريق إرادتك إلى قانون طبيعي عام.¹

ريكور أخذ هذه الفكرة ووسعها عبر التأمل في التفسير وواقعيتنا الأخلاقية، فبالنسبة له لم تكن الكونية الأخلاقية مجرد قاعدة جامدة بل جزءا من عملية تفسيرية تتضمن التفاعل بين الأفراد والمجتمع، وقد ركز على كيفية تفسيرنا للأخلاق بشكل يتجاوز القواعد الجامدة ويأخذ في اعتباره التفاعلات الإنسانية والمواقف المختلفة.

إن فكرة الكلية (الكونية) مرتبطة ارتباطا وثيقا بفكرة الإكراه المميزة لفكرة الواجب وهذا بسبب الإمكانيات المحدودة التي تميز إرادة متناهية، وفي الواقع فإن الإرادة في تكوينها الأساسي ليست سوى العقل العملي الذي تشترك فيه كل الكائنات العاقلة.

إن إرادة خيرة من دون قيد هي منذ البداية إرادة خاضعة بتركيبها للمحدودية، وبالنسبة إليها فإن الخير من دون قيد يأخذ شكل الواجب والأمر والإكراه الأخلاقي الواجب.²

إن الإرادة الخيرة تحتل جوهر الأخلاق الكانطية وهي إرادة كونية شاملة تتبع من صميم الذات البشرية المفطورة على الخير ،ويحدد كانط معنى الإرادة الخيرة في العقل المطلق أي أنها ترتبط أساسا بالقانون المطلق ، فالإرادة الخيرة تتطابق مع الفعل الذي يُقره العقل باعتباره موضوعا لا يقبل الخضوع لمبدأ الذاتية وما يفرزه من ترجمات للأنانية.

¹ إيمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، مرجع سابق ، ص 94

² بول ريكور، الذات عينها كآخر، مرجع سابق ، ص 402

و الملاحظ أن هناك تنافر بين التجربة التي تخضع لها الإرادة من جهة والواجب والإلزام من جهة أخرى ، فالأولى تعبر عن الخضوع الطبيعي أي أنها تتصرف وفقا للميل العاطفي الذي لا يمكن أن تتحكم فيه قاعدة أخلاقية معينة ، بينما تتصرف الإرادة بتوجيه من الإلزام والواجب الأخلاقي ، فهي تعبر عن صميم القيمة الأخلاقية التي تخضع للمبدأ المطلق الثابت الكلي وهذا يعني قاعدة التعميم الكلي الكوني.¹

إن المتصفح لكتابات بول ريكور على اختلاف الحقول التي عملت فيها سواء تعلق الأمر بتاريخ الفلسفة ، أو بفلسفة الأخلاق ، أو الدين ، أو السياسة ، أو التاريخ ، أو التحليل النفسي أو بالشعرية ، إنما يشهد على ضرب من العودة المستمرة إلى نصوص كانط عودة ما انفك ريكور يقطف جملة من الأمارات التي تدل عنده على ضرب من التأويلية ، إلا أنه لا يتوقف في هذا المستوى من البحث عن معالم تأويلية ضمنية عند كانط بل يبلغ اهتمامه بكانط إلى حد اعتبار هذا الأخير صاحب تأويلية فلسفية تامة الشروط يجد لها مقاما صناعيا مستقرا في أحد الكتب التي تنتمي إلى مرحلة النضج لدى كانط وهو كتاب "الدين في حدود مجرد العقل" الذي نشره سنة 1973.²

يقول ريكور في إجابة عن سؤال طرح عليه بخصوص فكرة الشر التي هي حاضرة بقوة في أعماله :«أنا كانطى كثيرا في معرفة أن الشر جذري حقيقة ، لكنه أقل جذرية من طيبة الإنسان» .

يعارض كانط بين التوجه نحو الخير و الذي هو إحدى مكونات الانسان والنزوع إلى الشر الذي يظهر باعتباره مكونة مكتسبة³ ، ولعل هذا القول يعكس التوجه الكانطي لريكور

¹ فائزة شرماط ، فلسفة الأخلاق عند بول ريكور ، مرجع سابق ، ص 37

² أم الزين بن شيخة ، ريكور قارئاً لكانط ، مدخل إلى تأويلية الدين ، موقع <https://alawan.bnt.nat.tn> تاريخ الدخول 2024/7/25 ، الساعة 5:15 .

³ جان فرانسوا دور تيبلي ، فلسفات عصرنا ، مرجع سابق ، ص100.

في معالجة وتناول الموضوعات فكانط يميز بين الشر الطبيعي والشر الأخلاقي، الشر الطبيعي هو الذي يأتي من الطبيعة مثل الأمراض والكوارث الطبيعية، والشر الأخلاقي هو الشر الذي يفعله البشر بناء على إرادتهم الحرة، ويعتقد كانط أن الشر الأخلاقي ناتج عن سوء استخدام الإرادة الحرة، بالنسبة إليه الإنسان لديه القدرة على اختيار الخير أو الشر بناء على المبادئ الأخلاقية التي يحددها العقل، ريكور يتعامل مع مفهوم الشر بشكل أوسع، بالنسبة له الشر ليس مجرد غياب للخير بل هو واقع معقد يتطلب استجابة عميقة وشاملة يتضمن التفكير في سياقات اجتماعية وتاريخية، فمقارنة ريكور وان اتخذت من مبادئ كانط أرضية لها فهي أكثر عملية وشمولية.

يعتبر ريكور أن أصل الشر لغز من ألغاز الوجود وأن التسليم لمرفق كانط حول جذرية الشر في الإنسان يفسر ذلك التناقض في تحديد مصير الحرية والاختيار على اعتبار أن منبع الفعل الأخلاقي هو ذات واحدة و موحدة في قراراتها وأفعالها و مسؤولياتها، وهي الذات التي تجيب دائما عن السؤال من؟ الذي يتكرر باستمرار في فلسفته التي تحاول بكل موضوعية أن تغوص في أغوار هذه الذات الغامضة والمحيرة.¹

وخلاصة القول أن فلسفة كانط الأخلاقية تعد حجر الزاوية في تطوير الفلسفات الأخلاقية اللاحقة، وقد أثرت بشكل عميق في فلسفة بول ريكور الأخلاقية، فكانط قدم مفهوم الواجب الأخلاقي والقاعدة المطلقة التي تتجاوز الميول الفردية والنتائج العملية مما وضع أساسا متينا لفهم الأخلاق بشكل مجرد ومنظم.

من جهته أتى ريكور ليبني على هذا الأساس فلسفته ويقدمها بطريقة تتناسب مع تعقيدات الحياة البشرية وتحدد أبعادها، ريكور لم يرفض مبادئ كانط بل وظفها ليطور

¹ فائزة شرماط، فلسفة الأخلاق عند بول ريكور، مرجع سابق، ص 39

نظرية أخلاقية تأخذ بعين الاعتبار التفسير والتجربة الشخصية والاعتبارات العملية ، وهكذا فإن تأثير فلسفة كانط الأخلاقية يظهر بوضوح في فلسفة ريكور كإطار مرجعي يثري الفهم الأخلاقي ويعزز من تعقيدات ويجعلها أكثر تفاعلا من التجربة الإنسانية المتنوعة .

خلاصة الفصل الثالث :

لقد سعت فلسفة كانط الأخلاقية إلى التأسيس لنموذج جديد من التفكير الأخلاقي يعتمد على مبادئ العقلانية والعمومية ، فمن خلال مفهومه الذي صاغه حول الإرادة الحرة والواجب قدم كانط نظرية تركز على القيم الإنسانية وتعمل على الاعتبارات الشخصية، هذه النظرية التي نلمس لها الامتداد في الفلسفة المعاصرة عند يورغن هابرماس و كارل اتو آبل حيث اتخذوا من المبادئ الكانطية منطلقا لتطوير نظريتهما التداولية ضمن إطار يركز على التواصل والتفاعل بين الأفراد كوسيلة لتحقيق التفاهم الأخلاقي ، كما أن تأثير الكونية الأخلاقية الكانطية في نظرية العدالة الاجتماعية عند جون رولز يبدو جليا ؛ فـرولز في نظريته يستند إلى المبادئ الأساسية لفلسفة كانط الأخلاقية التي تركز على احترام كرامة الفرد، أما بول ريكور فقد انطلق من الأخلاق الأرسطوطالسية ومن فكرة الواجباتية الكانطية ليعطى فهما أكثر عمقا وشمولية للأخلاق.

خاتمة



بعد تحليلنا لإشكالية دراستنا ومحاولة الإلمام بها من كل الجوانب نخلص إلى بعض الاستنتاجات التي يمكن أن نوجزها في بعض النقاط :

❖ أن فلسفة كانط الأخلاقية كانت خلاصة لما مر به من مؤثرات ساهمت في نضج أفكاره وتطورها ، فقد استلهم من كونفشيوس فكرة الواجب التي جعلها عماد فلسفته الأخلاقية ، كما غرف من المنابع اليونانية التي كان لها الفضل في النزعة الإنسانية التي سبقت فلسفته ، أما الصبغة الدينية وتقديسه للواجبات فقد كان مرده إلى التربية الدينية التي تلقاها في صباه دون أن يغفل عن عنصر هام كان له أثره الجلي وهو تأثره بأفكار نيوتن العلمية ، والنزعة التجريبية التي ميزت فلسفة دفيد هيوم ، والأثر الواضح الذي تركه روسو في شخصيته خاصة في جوانب فلسفته السياسية والأخلاقية وأفكاره حول الحرية والمجتمع مما ساهم في تطوير نظريته حول التربية في تطوير الفرد ، ولكن في وجود هذه المؤثرات واستفادته من كل هذه المصادر إلا أن كانط قدم نظرية أخلاقية مميزة وهي التي أطلق عليها اسم الكانطية أو أخلاق الواجب التي كان لها الصدى الواسع في فلسفة المحدثين وكان لها تأثير بالغ على الفلسفة الأخلاقية اللاحقة.

❖ نظرية الكونية الأخلاقية عند إيمانويل كانط تعرف بمبادئها الأخلاقية التي تعد عالمية وموضوعية ، فقد كانت فكرة كانط الرئيسية هي أن الأخلاق ينبغي أن تكون مبنية على مبادئ عالمية يمكن تعميمها وتطبيقها على الجميع ، فهي صالحة لكل زمان ومكان .

❖ وفقا لكانط الأعمال الأخلاقية يجب أن تبني على الواجب وليس على النتائج ، فالأخلاق عنده لا تهتم بالآثار و العواقب بل هي مسألة التزام بالقوانين الأخلاقية التي ندين بها جميعا.

- ❖ قدم كانط لفكرة الكونية كمعيار لتقييم الفعل الأخلاقي ،وهذه الفكرة تنص على أنه يجب على كل فعل أخلاقي أن يؤسس على قاعدة يمكن أن تصبح قانونا عاما عالمياً، بمعنى آخر يجب أن يكون الفعل مقبولا لقاعدة سلوك يمكن أن يطبقها الجميع .
- ❖ يركز كانط على احترام الذات واحترام الآخرين كقيمة أخلاقية أساسية ؛حيث دعا إلى معاملة الناس كغايات في حد ذاتهم وليس كوسائل أو أدوات .
- ❖ يُعتبر كانط من رواد الفكر الأخلاقي الإنساني الذي يربط الأخلاق بالمعايير العالمية والموضوعية مما يميز فلسفته عن الفلسفات النفعية التي تركز على النتائج والعواقب، وفلسفته الأخلاقية إذن كانت كرد فعل على هذه النزعة وكبديل لها.
- ❖ رغم ما جاء به كانط من نظرة جديدة للأخلاق والتركيز على المبادئ العليا للإنسانية، إلا أن هذه النظرية قد تعرضت كغيرها من النظريات إلى الانتقادات فرأى فيها بعض الفلاسفة أنها مثال للصرامة المفرطة والجمود لأنها تشترط الالتزام بالقوانين الأخلاقية دون استثناء مما يتسبب في تجاهل تعقيدات الحياة الواقعية والحالات الخاصة التي تستدعي بعض المرونة في التعامل .
- ❖ أشار بعض الفلاسفة ممن تناولوا نظرية كانط بالنقد والتحليل أن الصيغة الكونية في الأخلاق الكانطية يمكن أن تجد صعوبة في التطبيق إذا ما حاولنا تعميم مبدأ معين على جميع الحالات فكثيرا ما ستواجه تعارضات أو تناقضات ،كما يرون أن التركيز على الواجبات والمبادئ بدلا من نتائج الأفعال قد يفقد الفعل قيمته التي غالبا ما ترتبط عند الإنسان بنتائج الأفعال، والتي قد يؤدي تجاهلها إلى نوع من القصور في هذه النظرية التي لا تأخذ في اعتبارها الأثر الفعلي للقيمة الأخلاقية وهذا ما يؤدي إلى قرارات أخلاقية غير عملية ، كما وجهت لهذه النظرية انتقادات تخص عجز هذه النظرية عن التعامل مع الصراعات الأخلاقية وتقديم حلول بينة وواضحة عندما تتضارب الواجبات الأخلاقية، بالإضافة إلى أنها صورت الإنسان كائن عقلاني متحرر

بالكامل ومجرد من كل المؤثرات وهذا مالا يعكس حقيقته ؛ حيث كثيرا ما يكون للعوامل النفسية و الاجتماعية تأثير كبير على قراراتنا الأخلاقية .

❖ رغم كل ما تعرضت له هذه النظرية من انتقادات ومؤاخذات إلا أن مبادئ كانط المتعلقة بالواجب والأخلاق الكونية لها امتدادات وتجليات كبيرة في الفكر الفلسفي المعاصر، و نلمس هذا الحضور في الفلسفة الألمانية عند كل من يورغن هابرماس وكارل أوتو آبل ، كما نلمسه في نظرية العدالة لجون رولز ، وبلغ هذا الامتداد إلى الفلسفة الفرنسية مع بول ريكور .

❖ تأثر هابرماس بفلسفة كانط يظهر من خلال تركيزه على الأبعاد الأخلاقية ونظرية التواصل، هابرماس طور ما يعرف بنظرية الفعل التواصلي التي تقوم على إتيقا المناقشة بين الأفراد ؛حيث يؤدي الحوار بينهم إلى محاولة إيجاد توافق حول المعايير الأخلاقية وهذا الحوار يكون حواراً مفتوحاً ومتساوياً بين الأفراد لتأسيس قواعد أخلاقية مشتركة، كما أن كارل أوتو آبل استند إلى أفكار كانت لتطوير نظرياته حول الأخلاق والمجتمع ، وفلسفة آبل تعد تطورا واستمرارا لأفكار كانط حيث فتح لها آفاقا جديدة ومجالات مختلفة في محاولة لدمج الفلسفة الواجبانية المثالية مع القضايا العملية والأخلاقية في عصره .

❖ أخلاق كانط كان لها تأثير عميق على فلسفة جون رولز خاصة في نظريته عن العدالة، فرولز في عمله عن العدالة يعيد تفسير أفكار كانط ، حيث نجد أنه تأثر بمبدأ كانط حول احترام الفرد والنظر إليه كغاية في ذاته وليس كوسيلة .

❖ ركز رولز على ضرورة مراعاة حقوق الأفراد كعناصر أساسية لتحقيق العدالة مما يعكس تأثير كانط في التأكيد على كرامة الإنسان وحقوقه الأساسية ،فلسفة جون رولز إذن تستند إلى الأفكار الكانطية وتعيد تفسيرها لتناسب وسياق العدالة الاجتماعية، كما يمكن القول أن ريكور قد استفاد من مفهوم كانط للواجب وتأكيديه على الكرامة الإنسانية

ليضيف له بعدا سردياً يعكس تأملاته الشخصية وتفاعله مع الأخلاق من خلال منظور أكثر تفصيلاً وشمولية.

وفي ختام هذه الدراسة يمكن القول أن فلسفة كانط الأخلاقية لما تضمنته من مبادئ وأفكار كفكرة الواجب والإرادة الحرة والأوامر المشروطة والمقيدة والقواعد الأخلاقية وأبعادها الإنسانية قد شكلت نقطة تحول كبيرة في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، إن تركيز كانط على العقلانية والحقوق الفردية قد أعاد تشكيل فهمنا للأخلاق و النظام الأخلاقي الاجتماعي مؤثرا بذلك في النقاشات الفلسفية حول العدالة والحرية والواجب، ولعل أهم ما تركته فلسفة كانط هو تسليط الضوء على قيمة الإنسان كغاية في ذاته وليس كوسيلة مما ساعد في تعزيز مبادئ حقوق الإنسان والتفكير الأخلاقي النابع من قيم ثابتة وشاملة ،وفي النهاية فإن إرث كانط يبقى حاضرا في الفلسفة المعاصرة حيث تستمر تأثيراته في دفع النقاشات الأخلاقية والفلسفية إلى آفاق جديدة.

قائمة المصادر

والمراجع



قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- إيمانويل كانط ، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، ترجمة عبد الغفار مكاوي ، منشورات الجمل، مراجعة عبد الرحمان بدوي، ط 2021.
- إيمانويل كانط ، الدين في حدود العقل ، ترجمة فتحي المسكيني جداول النشر بيروت لبنان ، 2002.
- إيمانويل كانط، مشروع للسلام الدائم، ترجمة عثمان أمين مكتبة الأنجلو مصرية القاهرة.
- إيمانويل كانط، نقد العقل العملي ، ترجمة غانم هنا ، 16 ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1 ، 2008.

ثانياً: المراجع

- أبو النور حمدي أبو النور حسن: يورغن هابرماس. الأخلاق والتواصل دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت لبنان د. ط 2012.
- أحمد أمين ، زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، ط 2 ، 1935.
- أحمد أمين، كتاب الأخلاق، مؤسسة هنداوي، دط ، 2011.
- ايميل برهيه ، تاريخ الفلسفة، ترجمة جورج طرابشي ، دار الطليعة ، للطباعة والنشر ط 2 بيروت ، 1995.
- بول ريكور ،الذات عينها كآخر ، ترجمة جورج زيناتي ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان ، ط 1، 2005 .

- بول ريكور ، بعد طول تأمل ، ترجمة فؤاد مليت مراجعة عمر مهيبيل ، منشورات دار الاختلاف، المركز الثقافي العربي بيروت الدار البيضاء, ط1، د ت .
- توفيق الطويل ، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق ، ط1 ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة , 1953.
- ثريا بن مسمية، مدرسة فرانكفورت دراسة في نشأتها وتياراتها النقدية ، ط1 ، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية النجف، العراق .
- حسام امحي الدين الالوسي ، التطور والنسبية في الاخلاق ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1989.
- جاكليين روز، الفكر الأخلاقي المعاصر ترجمة عادل العوا عويدات للنشر والطباعة ، بيروت، لبنان ، ط1 ، 2001.
- جان فرانسوا دور تيبلي ، فلسفات عصرنا تياراتها ، مذهبها , أعلامها وقضاياها، ترجمة إبراهيم صحراوي , ط1 ، بيروت ، الدار العربية للعلوم ناشرون.
- جمال محمد , ايمانويل كانط , أنطولوجيا الوجود , دار التنوير للطباعة والنشر , بيروت , 2009.
- جمال محمد سليمان أنطولوجيا الوجود, ايمانويل كانط , دار التنوير للطباعة والنشر بيروت , د ط , 2009.
- جمال مفرج ، الإرادة والتأويل، تغلغل النتشوي في الفكر العربي، منشورات الاختلاف الجزائر ط 1 , 2009.
- جورج زينات، رحلات داخل الفلسفة الغربية، دار المنتخب العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ، ط 1.
- جيل دلوز، نيتشه ، ترجمة : أسامة الحاج المؤسسة الجامعية - للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان ط 1 , 1993.

قائمة المصادر والمراجع

- ديفيد جونستون مختصر تاريخ العدالة، ترجمة مصطفى ناصر، د ط، الكويت عالم المعرفة ، 2012.
- ريمون بولان الاخلاق والسياسة ترجمة عادل العوا ، ط1 ، دمشق دار طلاس ، 1988.
- زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية ، دار مصر للطباعة ،دون طبعة ، د ت
- زكريا ابراهيم، كانط أو الفلسفة النقدية ، مكتبة مصر ، ط2 ، القاهرة. د ت
- زكي نجيب ، قصة الفلسفة الحديثة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، د ط القاهرة ، 1936.
- سالم يافوت، إبستمولوجيا العلم الحديث ، دار توبقال للنشر ، ط 2 الدار البيضاء، المغرب 2008.
- سمير بلكفيف ، التفكير مع كانط ضد كانط ، دار الأمان، ط 1 ، الجزائر ، 2014.
- سمير بلكفيف ، إيمانويل كانط فيلسوف الكونية 15 منشورات الإختلاف 2011، الجزائر.
- الشيخ كامل محمد محمد عويضة، ايمانويل كانط شيخ الفلسفة في العصر الحديث ،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، ط، 1993.
- صموئيل فريمان، اتجاهات معاصرة في فلسفة العدالة، جون رولز نموذجا ،ترجمة فاضل جتكر ، ط1، بيروت المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2015.
- عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ط1، 1986.
- عادل ضاهر، نقد الفلسفة الغربية للأخلاق والعقل ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، ط1 عمان الأردن، 1990.

قائمة المصادر والمراجع

- عبد الرحمان بدوي، خلاصة الفكر الأوروبي، شوننهاور، در القلم بيروت، لبنان ، د ط
- عبد الوهاب جعفر ، فلسفة الأخلاق والقيم، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر د ط ، الإسكندرية ، 2013.
- عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية دار الثقافة للنشر والتوزيع، د ط ، القاهرة 1989.
- علي عبود المحمداوي ، الإشكالية السياسية للحدث من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل ، ط1، منشورات ضفاف تونس 2015.
- علي عبود المحمداوي، موسوعة الأبحاث الفلسفية الغربية المعاصرة ، دار الأمان للنشر ، الرباط، ط1، 2003.
- فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، الفلسفة الحديثة من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط ، ترجمة حبيب الشاروني أحمد، ط 1 ، 2010 ، القاهرة المركز القومي للترجمة.
- فريال حسن خليفة، الدين والسلام عند كانط ، مصر العربية للشر و التوزيع ، ط1، 2001، القاهرة.
- فريدريك نيتشه ، العالم المرح ، ترجمة وتقديم حسان بورقية محمد ناجي متابع إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ط1، 1999.
- كرستوفر وانت أندزجي كليموويسكي ، أقدم لك كانط ، إمام عبد الفتاح إمام، مجلس أعلى للثقافة والنشر القاهرة ، ط1، 2002.
- محسن الخوني، التنوير والنقد منزلة كانط في مدرسة فرنكفورت ، ط2 ، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا ، 2009.
- محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية ، د ط 2000،

قائمة المصادر والمراجع

- محمد عابد الجابري ، قضايا في الفكر المعاصر ، مركز الدراسات للوحدة العربية ، بيروت لبنان ط1, 1997.
- محمد عبد الرحمان مرحبا، المرجح في تاريخ الأخلاق 1 ، الأخلاق منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الصين القديمة جروس ، بيرس لبنان ط1, 1988.
- محمد عثمان الخشت، الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم ، دار قباء للطباعة والنشر و التوزيع ، دط، القاهرة.
- محمد مهران رشوان ، تطور الفكر الاخلاقي في الفلسفة الغربية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة دون ط, 1998.
- محمود زيدان ، كانط وفلسفته النظرية، دار المعارف, ط3, 1979.
- مصطفى عبده ، فلسفة الأخلاق ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط2، 1999.
- هالة أبو الفتوح ، فلسفة الأخلاق والسياسة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، دط ، القاهرة 2000.
- هيجل ، أصول فلسفة الحق، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 ، بيروت، لبنان، 2000.
- وول ديورنت ، قصة الفلسفة ،من افلاطون الى جون ديوي، ترجمة فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف، ط 6 ، بيروت ، 1988.
- يرييه إميل ، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة جورج الطرابيشي ط1 ، دار الطليعة ، بيروت، 1984.
- يسري إبراهيم ، فلسفة الأخلاق (فردريك نيتشه) دار التنوير للطباعة، بيروت ط1, 2005.
- يورغن هابرماس أخلاق المناقشة ومسألة الحقيقة ترجمة عمر مهيل - الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف ، الجزائر ط 1, 2010.

قائمة المصادر والمراجع

- يوسف ،كرم ابراهيم مذكور دورس في الفلسفة ، عالم الأدب للترجمة والنشر , ط بيروت لبنان , 2016.
- يوسف حامد الشين ، مبادئ فلسفة هيغل منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي، ط 1 ، 1994.
- يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسس هنداي للتعلم والثقافة، ط1 ، القاهرة مصر , 2013.
- يوسف كرم ، إبراهيم مذكور ، دروس في الفلسفة، عالم الأدب للترجمة و النشر , ط1 ، بيروت لبنان , 2016.

ثالثا : المراجع باللغة الاجنبية .

J. Habermas: Morale et communication, conscience –1 morale
et activité communicationnelle, traduit par-Bouchind homme,
les editions de cerf, paris, 1986

قائمة المصادر والمراجع

رابعاً : المجلات

- أسماء حسن أبو عوف، مقدمة في علم الأخلاق، مجلة حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية، بطنطا ، المجلد 9، العدد 9 القاهرة 2017.
- بن محمد توفيق، كارل أتو ابل، قارئاً لكانط ، القراءة التاسعة لكانط . دراسة تحليلية من وجهة نظر البراغماتيك المتعالية ، مجلة الباحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر ، مج5 ، ع 01، 2017
- بورزاق يمينية ، قراءة في الفلسفة التحويلية لكارل أتو آبل الفلسفة الإيتيقية نموذجاً، مجلة المعيار ، جامعة الامير عبد القادر قسنطينة ، مج 26، العدد 5، السنة 2022.
- دينيس شولتتغ، هيجل ناقد الكانط، مجلة الاستغراب ، العدد 14 ، 2019.
- صلاح سالم . مدرسة فرانكفورت والنظرية النقدية ، مجلة الاهرام ، القاهرة، مصر 2024.
- محمد بوحجلة، الحوار الفلسفي بين يورغن هابرماس و كارل أبو ابل حول تطبيق إتيقا النقاش، مجلة الأكاديمية للدراسات اجتماعية ، الشلف ، عدد 19 ، 2018.
- محمد بو حجلة، مشروع تحويل الفلسفة إلى تداولية ترنسندنتالية عند أتو آبل، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية الشلف ، عدد 19 ، 2018.
- سالي سد جويك ، النقد الهيجلي لكانط ، دحض التجريبية المطلق، مجلة الاستغراب المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العدد 9 ، 2017.
- محمد عبد الله الخالدي، نظرية العلم والمعرفة عند كانط، مجلة مداد الآداب العدد 22 ، جامعة بغداد كلية الآداب.

قائمة المصادر والمراجع

رابعاً - الرسائل الجامعية:

- بن حجة عبد الحليم، القيم الأخلاقية بين النسبي والمطلق ، دراسة تحليلية ,نقدية النظرية القيمة الأخلاقية عند كانط ، رسالة ماجستير 2013، جامعة وهران ، وهران.الجزائر .
- فائز شرماط ، فلسفة الأخلاق عند بول ريكور , رسالة ماجستير 2010 جامعة باتنة, باتنة، الجزائر .
- محند أعراب قذرون ، المجتمع المدني عند هيجل، رسالة ماجستير 2011 ، جامعة الجزائر، الجزائر.
- جلول خدة معمر ، الدراسات الفلسفية الأخلاقية في الفكر المغربي المعاصر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإجتماعية , جامعة وهران ، وهران، 2011.

خامساً : الموسوعات والمعاجم .

- ابن عربي، تهذيب الأخلاق، تحقيق عبد الرحمان بدوي ، حسن، ،محمود، ط1، مكتبة عالم الفكر، القاهرة ، 1990.
- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، ، مادة خلق، القاهرة 2007.
- جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ، ط 4 ، 1982.
- خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، موسوعة الأخلاق ، ط1، دار أهل الأثر ، الكويت ، 2009.
- علي عبود المحمداوي ، مجموعة الأكاديمين العرب، موسوعة الأبحاث الفلسفية، ، دار الأمان للنشر الرباط ، ط1، 2003.
- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط ، دار الفكر، إيران ، ط2، 1972.

قائمة المصادر والمراجع

خامسا: المواقع الالكترونية .

- أم الزين بن شيخة , ريكور قارئاً لكانط ، مدخل إلى تأويلية الدين، موقع <https://alawan.bnt.nat.tn> تاريخ الدخول 2024/7/25 ، الساعة 5:15 .
- جمال مفرج ، نيتشه وحدود النقد الكانطي ، موقع www.hekma.com تاريخ الدخول : 2024/7/24 الساعة : 14:30
- حاتم حميد محسن ، هيجل ومستويات الأخلاق، موقع www.almothagaf.com ، تاريخ الدخول 2024 /07/13 الساعة 13:40 .
- رشا العشري ، العدالة عند إيمانويل كانط ، <https://Kiabat.com> تاريخ الدخول 2024/7/28 الساعة 16:00
- عبد الكريم لمباركي، آرثر شوبنهاور و مفهوم إرادة الحياة، موقع Philo-ibnosina Kénitra تاريخ الدخول 2024/7/24 الساعة 14:00 .
- عماد حسناوي، نيتشه قارئاً لكانط، المكتبة العامة ، موقع الحوار المتمدن m.ahewer.org ، تاريخ الدخول 2024/7/22 ، الساعة 6:15 .

فهرس المحتويات



فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
	اهداء
	شكر وعرفان
أ	مقدمة
1	الفصل الأول: نحو الكونية في الأخلاق عند كانط
2	المبحث الأول: الأصول الفكرية لمشروع كانط الأخلاقي
3	كونفشيوس وفكرة الواجب
9	كانط والنزعة العلمية
11	أثر البيئة الدينية
13	تأثير دافيد هيوم
16	تأثير فلسفة جون جاك روسو على المشروع الأخلاقي الكانطي
20	المبحث الثاني : المشروع الأخلاقي الكانطي
21	تعريف الاخلاق
24	دوافع كانط لمشروعه الأخلاقي الجديد
28	الواجب
31	الإرادة الحرة كأساس للقانون الأخلاقي
33	القانون الأخلاقي عند كانط
34	الأوامر الشرطية والأوامر
36	المبحث الثالث: قواعد الأخلاق الكانطية وأهدافها

فهرس المحتويات

36	قواعد الأخلاق الكونية
41	أهداف الأخلاق الكونية
46	علاقة الأخلاق بالسياسة
48	آراء كانط في السياسة
51	خلاصة الفصل الاول
52	الفصل الثاني : الكونية الكانطية في ميزان النقد
54	المبحث الأول: نقد هيكل للكونية الأخلاقية الكانطية:
54	تمجيد هيكل لفلسفة كانط
55	مآخذ هيكل على أخلاق الواجب
61	فلسفة الحق وبديل أخلاق كانط
65	المبحث الثاني: نقد شوبنهاور لأخلاق الواجب
66	رفض شوبنهاور لأخلاق الواجب
68	اعتراضات شوبنهاور على أخلاق كانط
73	الإرادة والأخلاق عند شوبنهاور
76	المبحث الثالث: النقد النيتشوي للأخلاق الكانطية:
79	نقد نيتشه للنزعة الدينية عند كانط
80	نقد نيتشه لقيمة العمل الأخلاقي
82	أخلاق القوة بدل أخلاق الواجب
83	أخلاق السادة وأخلاق العبيد
88	المبحث الرابع: نقد هوركهايمر للأخلاق الكانطية:
88	الأثر الكانطي في مدرسة فرانكفورت

فهرس المحتويات

91	نقد هوركهايمر لفلسفة كانط الأخلاقية
95	خلاصة الفصل الثاني
97	الفصل الثالث : تأثيرات نظرية الكونية لكونية كانطية في الفلسفة الحديثة والمعاصرة
98	المبحث الأول : تأثيرات نظرية الكونية الأخلاقية في الفلسفة الألمانية
98	يورغن هابرماس وأخلاق المناقشة
100	تطور نظرية المناقشة
102	مبادئ إتيقا المناقشة
105	تحليلات الكونية كانطية في الفلسفة الألمانية
111	المبحث الثاني : تأثيرات الكونية الأخلاقية كانطية في الفلسفة الأمريكية
112	جون رولز ونظرية العدالة
113	الأثر كانطي في فلسفة جون رولز
117	مفهوم العدالة
119	جون رولز ضد المنفعة
122	مبدأ العدالة
128	المبحث الثالث: تأثيرات الكونية الأخلاقية كانطية في الفلسفة الفرنسية
128	بول ريكور
136	خلاصة الفصل الثالث
138	خاتمة
143	قائمة المصادر والمراجع
153	الملخص
156	فهرس المحتويات

الأخلاق الكونية الكانطية هي الإرث الفكري الذي خلفه كانط ، والذي يمثل منارة للتفكير الإنساني وذلك من خلال تأكيده على مبدأ الواجب ، والعمل وفقا لمبادئ تحترم الكرامة الإنسانية وتصبو إلى الخير العام، فكانط يرى أن كل فعل يجب أن يكون مبنيا على قاعدة يمكن تعميمها بحيث تصبح قانونا عالميا ، وأن الانسان يعامل كغاية لذاته في إطار من الحرية التي تعد عنصرا أساسيا في تحديد القيمة الأخلاقية .

تعتبر هذه النظرية من الأسس المهمة للفلسفة الأخلاقية وتؤثر بشكل كبير على الفلسفة المعاصرة وتقدم إطارا فلسفيا لدعم حقوق الانسان والعدالة الاجتماعية .

Summary:

Kantian universal ethics is the intellectual legacy left by Kant, which represents a beacon for human thinking through its emphasis on the principle of duty, and acting according to principles that respect human dignity and aspire to the common good. Kant believes that every action must be based on a rule that can be generalized so that it becomes a law. Globally, the human being is treated as an end to himself within a framework of freedom, which is an essential element in determining moral value. This theory is considered one of the important foundations of moral philosophy and greatly influences contemporary philosophy and provides a philosophical framework for supporting human rights and social justice.